حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

د. سهام الفريح

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الكويت

الوصايا

ومدى تطورها في العصر العباسي الأول

الرسالة الثانية والثلاثون

الحولية السادسة

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

ثمن الرسالة

الكويت ٤٠٠ فلس ـ البحرين نصف دينار ـ قطر ٥ ريالات ـ الامارات ٥ دراهم ـ السعودية ٥ ريالات ـ عمان نصف ريال ـ اليمن الجنوبي ٢٠٠ فلس ـ اليمن الشمالي ٣ ريالات ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ ج م ع ٢٥ قرشا ـ لبنان ٥ ليرات ـ الأردن ٢٥٠ فلس ـ سوريا ٥ ليرات ـ السودان ٢٥٠ مليما ـ ليبيا ٤٠ قرشا ـ الجزائر ٥ دنانير ـ تونس ٤٠٠ مليم ـ المغرب ٥ دراهم

الاشتراك السنوي لعدد (٨) رسائل

للأفراد ثلاثة دنانير كويتية ومائتا فلس في الكويت ــ أربعة دنانير في الوطن العربي اثنان وثلاثون دولاراً أمريكياً في الخارج بالبريد الجوي.

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ستة عشر ديناراً كويتياً ــ في الخارج أربع وستون دولاراً أمريكياً.

لأعضاء هيئة التدريس والطلاب خصم ٥٠٪

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر أو أية إستفسارات أخرى بشأن الحوليات توجه إلى رئيس هيئة تحرير الحوليات ـ ص ب ١٧٣٧٠ الخالدية ـ الكويت

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

دورية علمية محكمة ومتخصصة تضم مجموعة من الرسائل التي تعالج بأصالة موضوعات وقضايا ومشكلات علمية في مجالات اللغة والأدب والفلسفة والتاريخ والاجتماع والجغرافيا وعلم النفس، وتمثل عيناً علمياً للمثقفين العرب.

الحولية السادسة - الرسالة الثانية والثلاثون

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

صدر من هذه الحوليات

الحولية الأولى لعام ١٩٨٠ : -

الرسالة الأولى	: الجذور الفلسفية للبنائية	د. فؤاد زكريا
الرسالة الثانية	: صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا	د. محمد عيسى صالحية
الرسالة الثالثة	: ابن ملاقس ، حياته وشعره	د. سهام الفريح
الرسالة الرابعة	: الأمير تنكز الحسامي	د. حياة ناصر الحجي
الرسالة الخامسة	: التدرج الطبقي الاجتماعي في بعض الأقطار العربية (باللغة الانجليزية)	د. خلدون حسن النقيب

الحولية الثانية لعام ١٩٨١ :

الرسالة السادسة	: علي أحمد باكثير	د. محمد عبده
الرسالة السابعة	: تحليل اخطاء الطلبة العرب في استعمال أدوات التعريف والتنكير الانجليزية (باللغة الانجليزية)	د. نايف خرما
الرسالة الثامنة	: دولة المماليك ودولة مغول القفجاق	د. حياة ناصر الحجي
الرسالة التاسعة	: المرأة والفلسفة	د. محمود رجب

الحولية الثالثة لعام ١٩٨٢ :

الرسالة العاشرة	: الروابط العائلية القرابية في مجتمع الكويت المعاصر .	د. فهد ثاقب الثاقب
الرسالة الحادية عشرة	: البيئة والسلوك	د. طلعت منصور
الرسالة الثانية عشرة	: عالمية الحضارة الاسلامية ومظاهرها في الفنون	د. صلاح الدين البحيري
الرسالة الثالثة عشرة	: لورنس وحنوط ، دراسة أدبية سيكلوجية ، مقارنة	د. محمد رجاء الدريني
الرسالة الرابعة عشرة	: آل قدامة والصالحية	د. شاكر مصطفى

الحولية الرابعة لعام ١٩٨٣ :

الرسالة الخامسة عشرة : أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية — د. عبد العال سالم مكرم .

الرسالة السادسة عشرة : مفهوم التفسير في العلم من زاوية منطقية — د. عزمي موسى اسلام

الرسالة السابعة عشرة : العمل الاجتماعي في المجال التربوي — د. جلال الدين الغزاوي

الرسالة الثامنة عشرة : وحدة ميتافيزيقيا أرسطو ومنزلة الرياضيات فيها — د. أبو يعرب المرزوقي

الرسالة التاسعة عشرة : مفهوم التهكم عند كيرو كجور — د. امام عبد الفتاح

الحولية الخامسة لعام ١٩٨٤ :

الرسالة العشرون : « نظرة في قرينة الاعراب » في الدراسات النحوية القديمة والحديثة

د. محمد صلاح الدين بكر

الرسالة الحادية والعشرون : الأخرويات الاسلامية في الكوميديا الالهية (باللغة الانجليزية)

د. رشا حمود الصباح

الرسالة الثانية والعشرون : تسع وثائق في شئون الحسبة على المساجد في الأندلس د. محمد عبد الوهاب خلاف

الرسالة الثالثة والعشرون : مشروع سوريا الكبرى وعلاقته بضم الضفة الغربية د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

الرسالة الرابعة والعشرون : مفاهيم العلاج النفسي الأسري وأنماط التفاعل داخل الأسر المريضة (النشأة والتطور)

د. حامد عبد العزيز الفقي

الحولية السادسة لعام ١٩٨٥ : ـ

الرسالة الخامسة والعشرون : « نحاة الشيروان» د. يوسف أحمد المطوع

الرسالة السادسة والعشرون : « من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية » — د. محمد عيسى صالحية

الرسالة السابعة والعشرون : « الفصاحة : مفهومها . وبم تتحقق . قيمها الجمالية » — د. توفيق علي الفيل

الرسالة الثامنة والعشرون : « مشكلة التأويل العقلي عند مفكري الاسلام في المشرق العربي وخاصة عند ابن سينا الاستاذ / سعيد زايد (مجمع اللغة العربية ـ القاهرة) .

الرسالة التاسعة والعشرون : واقع التاريخ في رواية وجوب العنف (باللغة الانجليزية) — د. رشا حمود الصباح

الرسالة الثلاثون : مكانة رواية روبنسون كروزو في القصص اللايوطوبي (باللغة الانجليزية)

د. محمد رجا الدريني

الرسالة الحادية والثلاثون : مفهوم المعنى « دراسة تحليلية » — د. عزمي سلام

الرسالة الثانية والثلاثون

الوصايا
ومدى تطورها في العصر العباسي الأول

د. سهام الفريح
قسم اللغة العربية وآدابها . جامعة الكويت

حوليات كلية الاداب - الحولية السادسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

المؤلف

د. سهام الفريح

* دكتوراه في الادب العربي القديم (جامعة القاهرة) ١٩٨٠

* مدرسة الادب العباسي بقسم اللغة العربية وآدابها جامعة الكويت

من انتاجها العلمي :

الكتب :

أ ـ ديوان ابن قلاقس (دراسة وتحقيق)

ب ـ الجواري والشعر في العصر العباسي الأول .

البحوث :

١ ـ الثعالبي وكتابه يتيمة الدهر ـ مجلة البيان الكويت ـ العدد ١٩٧ آب ١٩٨٢ .

٢ ـ أدب الوصايا في العصر الجاهلي ـ مجلة البيان الكويت ـ ٢٠٨ تموز ١٩٨٣ .

٣ ـ الوصايا في العصر الاسلامي ـ مجلة المورد بغداد ـ المجلد الثالث عشر ـ العدد الثالث ١٩٨٤ .

٤ ـ الورود والأزهار في اشعار الجاهليين ـ مجلة البيان ـ الكويت .

محتوى البحث

ملخص

الوصايا فن من الفنون النثرية في الادب العربي القديم إلا أنه لم يلق العناية الكافية من قبل المختصين بالدراسات الحديثة ، إذ لم نجد حوله الدراسة التي هو جدير بها لتضعه في المكانة المناسبة بين الفنون النثرية الاخرى كالخطابة والرسالة والقصة وأمثالها ، بالاضافة الى أنه الفن النثري الذي ينقل لنا رؤية كاتبه وفلسفته في الحياة والناس ، وليس هذا فحسب ، بل إن فن الوصايا يتناول جوانب اجتماعية وسياسية . بامكان المؤرخ ان يستفيد منها كوثائق في السياسة والاجتماع بغض النظر عن الجانب الفني فيه .

وقد سبق هذه الدراسة بحثان كانا حول موضوع الوصايا أيضا ، أولهما كان عن الوصايا في العصر الجاهلي ، وثانيهما : كان عن الوصايا في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي . لذا ، جاءت هذه الدراسة عن (الوصايا ومدى تطورها في العصر العباسي الأول) لتكمل البحثين السابقين ولترصد مظاهر التطور والتجديد في هذا الفن .

فقد تعرضت هذه الدراسة لجميع أنواع الوصايا في العصر مع الرصد المستمر لجميع مظاهر التطور والتجديد في كل نوع فيها . والتي قد تبرز في جوانب اللغة والاسلوب أو المعاني أو الموضوعات .

وقد سجلت أنواعا جديدة لم يتعرض لها القدماء في العصور السابقة بوصايا مستقلة ، وإنما ضمن أنواع أخرى ، وذلك كوصايا الصداقة والصديق .

وقد تنبهت هذه الدراسة من خلال ذلك لجوانب لم تعن بتطور بعض المهن التي أخذت تخضع لاساليب وأطر ثابتة تلزم صاحب المهنة الاخذ بها والسير على منهاجها . وذلك في وصايا المؤدبين والمعلمين فلم تعد تصدر الى مؤدب أو معلم بعينه ، وإنما اخذت تصدر من بعض المفكرين أو المؤدبين المتمرسين بهذه المهنة الى المؤدبين والمعلمين عامة :

المدخل :

عند الحديث عن أدب الوصايا في العصر العباسي علينا أن نتنبه إلى التطور الذي طرأ على جميع مناحي الحياة في هذا العصر فشمل الجوانب السياسية والاجتماعية والفكرية . وكيف أن هذا التطور والتغير نقل الإنسان العربي من البساطة في العيش والتفكير إلى التعقيد والتكلف . فلم تعد أمور حياته كسابق عهدها في العصور السابقة .

وقد كان لهذا التطور أسباب كثيرة ومتنوعة ، ولعل من أهمها وأخطرها هو انفتاح العرب على الأمم الأخرى واتصالهم بها إتصالا مباشرا ولا يغرب عن البال مكانة هذه الأمم ودورها الخطير في الحضارة والمدنية وكيف كان لبعضها الأثر الكبير في التاريخ القديم . كالفرس واليونان والرومان والهنود .

وقد أدى إتصال العرب بهذه الأمم إلى التأثر بها والتأثير فيها ، وقد لا نبالغ إذا قلنا بأن التأثر كان أكثر وضوحا ، لكنهم مع هذا أبقوا على الكثير من موروثهم الثقافي والفكري ، فحفظوا الكثير من عاداتهم وتقاليدهم وحافظوا على تعاليم دينهم الجديد الذي آمنوا به وجاهدوا جهادا في سبيل نشره بين البشر .

وهم في هذا الصراع بين الإقتباس من ماهو جديد وطاريء عليهم وبين التمسك والحفاظ على موروثهم القديم ، استطاعوا أن يبنوا حضارة متميزة ثبتت جذورها في الأرض واستمرت تنمو حتى أصبح لهادور ومكانة في تاريخ البشرية .

فكان من الطبيعي بعد هذا التطور والتغير الذي ظهر واضحا في نظم حياتهم السياسية والإجتماعية وفي أساليب معيشتهم ، أن نجد صدى ذلك على النواحي

الفكرية والثقافية فتطورت علومهم وآدابهم ، وظهرت لديهم علوم وفنون جديدة لم يعرفوها من قبل ولم يلموا بها . والآداب من أهم الفنون التي بدا عليها التغير فتطور النثر والشعر وظهرت فنون نثرية وأغراض شعرية جديدة ، والوصايا كأحد هذه الفنون النثرية خضعت لموجة التغير وظهرت فيها أنواع جديدة لم يعرفها العرب من قبل ، فبالإضافة للوصايا التقليدية التي تصدر بنصائح وتوجيهات من الأب لأبنائه أو من الخليفة أو الحاكم لواليه أو قائده أو من الحكيم أو الواعظ للخليفة أو الحاكم ظهرت وصايا جديدة صدرت بتوجيهات وإرشادات من إنسان متمرس وخبير في مهنة معينة عالم ببواطنها إلى اصحاب هذه المهنة وذلك بالإضافة إلى وصايا الكتاب التي صادفناها عند عبد الحميد الكاتب في العصر الأموي ، ظهرت في هذا العصر (وصايا المؤدبين والمعلمين) الصادرة من الكتاب والأدباء لهذه الطبقة من المجتمع ، ووصايا القواد التي جاء بها الجاحظ ووصايا الوزراء . وهناك وصايا لم تظهر بوضوح في العصور السابقة كوصايا الصداقة والأخوان .

وقد قسمت هذه الدراسة حسب أنواع الوصايا التي تمكنت من جمعها لذلك العصر وهي : -

١ ــ وصايا الخلفاء والوزراء والأمراء لأبنائهم وأخوانهم .

٢ ــ الوصايا الموجهة إلى الوزراء والولاة والكتاب .

٣ ــ وصايا عامة في الصداقة والصديق .

٤ ــ وصايا الحكماء والوعاظ والنساك والأدباء إلى الخلفاء .

٥ ــ وصايا الخلفاء والكتاب إلى المؤدبين والمعلمين .

٦ ــ وصايا الخلفاء إلى القواد في الأمور الحربية .

وقد تأثرت الوصايا بالآداب الأجنبية بعد أن نشطت حركة الترجمة وإزدهرت في العصر العباسي ، فتأثرت بالحكم الهندية التي اشتهرت بها آداب هذه الأمة ، ولعل اشهر الكتب المنقولة هو كتاب (كليلة ودمنة) الذي نقله ابن المقفع عن

الترجمة الفارسية إلى العربية ، فكانت الحكم الهندية مبثوثة في قصص هذا الكتاب ، وهي تمثل خلاصة تجارب الهنود العميقة في السياسة وفي الأخلاق . وهي تفصل أيضا واجبات الحاكم نحو رعيته وما يجب أن يكون عليه من العدل والإنصاف ، والبعد عن الهوى .

وكان التأثر واضحا بالآداب الفارسية ، ولعل أقدمها وأكثرها تأثيرا هي ترجمات ابن المقفع ، والتي تدور في مجملها حول سيرة ملوك الفرس وحكامها ، ومن أشهر هذه الكتب (خداي نامة) في سيرة ملوك العجم ، وكتاب (آيين نامه) في عادات الفرس وآدابهم و (التاج في سيرة أنو شروان) .

وكذلك في الكتب التي وضعها ابن المقفع والتي يظهر فيها تأثره بآداب بني قومه ، وإن كان قد صاغها صياغة عربية تسود في الكثير من عباراتها الروح الإسلامية ، ولعله أراد من ذلك أن يجذب العرب إلى قراءة آداب أمته وتاريخها .

وكذلك كان (عهد اردشير) الذي ترجم إلى العربية في عهد هشام بن عبد الملك (التنبيه والإشراف : ١٠٦) أبعد الأثر في فكر رجال الحكم والسياسة ، وطبقة الكتاب التي كان لها الدور الخطير في الدولة العباسية ، فيعد هذا الكتاب (وصية جامعة لمؤسس دولة جمع تجاربه التي عانى طويلا في اكتسابها) (عهد اردشير : ٢١) وكان لهذا العهد المكانة والشأن الرفيع حتى عد دستور الفرس في ذلك العهد وظلوا يحتفظون به لفترة طويلة .

وكذلك فيما نقل عن اليونانية من وصايا أرسطو إلى الاسكندر وتوجيهاته له التي كانت مبثوثة في الترجمات العربية كان له الأثر البين في تطور فن الوصايا . كما سنرى هذا فيما سنتحدث عنه :-

١ ـ وصايا الخلفاء والوزراء والأمراء لأبنائهم واخوانهم

وصايا الآباء للأبناء :

إذا سلمنا أن الوصايا كغيرها من الفنون الأدبية ، تأثرت بالآداب الأجنبية ، فإن التأثر كان واضحا في وصايا الملوك للولاة والقواد ، أو وصايا الكتاب أو وصايا المؤدبين أما وصايا الآباء للأبناء ، فقد كانت متقاربة في معانيها ومضامينها مع ما جاء في وصايا الآباء في الجاهلية وصدر الإسلام في الدعوة إلى الأخلاق الحميدة والفاضلة ، وقد تكون في الغالب واحدة عند جميع الأمم ، وإن كنا لا نهمل اختلاف بعض القيم والعادات من أمة إلى أخرى . وقد تكون وصايا الآباء الخلفاء إلى الأبناء (ولاةالعهد) متميزة عن غيرها من وصايا الخلفاء وذلك لما فيها من الأعداد والتوجيه إلى الآداب السلطانية في سياسة الرعية . وغيرها من الأمور التي تعد (ولي العهد) إلى تولي الحكم . ولعل أهم الوصايا في هذا الجانب والتي تطالعنا في هذا العصر هي وصايا الخليفة المنصور إلى ابنه المهدي منها قوله :- (يا أبا عبد الله : إني قد ولدت في ذي الحجة ، ووليت في ذي الحجة ، وهجس في نفسي أني أموت في ذي الحجة من هذه السنة ، فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي ، يجعل لك فيما كربك وحزنك مخرجا ، ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب ، احفظ يا بني محمدا ﷺ وفي أمته ، يحفظ الله عليك أمورك ، وإياك والدم الحرام ، فإنه حوب[١] عند الله عظيم ، وعار في الدنيا لازم مقيم ، الزم الحلال ، فإن فيه ثوابك في الآجل ، وصلاحك في العاجل ، وأقم الحدود ، ولا تعتد فيها فتبور[٢] ، فإن الله لو علم أن شيئا أصلح لدينه ، وأزجر عن معاصيه من الحدود ، لأمر به في كتابه ، وأعلم أنه من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فسادا ، مع ما

دخر له عنده من العذاب العظيم ، فقال : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصابوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم » ، فالسلطان يا بني حبل الله المتين ، وعروته الوثقى ، ودين الله القيم ، فاحفظه وحطه ، وحصنه وذب عنه ، وأوقع بالملحدين فيه ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم ، والمثلات[3] بهم ، ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن ، واحكم بالعدل ولا تشطط ، فإن ذلك أقطع للشغب ، وأحسم للعدو ، وأنجع في الدواء ، وعفّ في الفيء ، فليس بك حاجة مع ما أخلفه لك ، وافتتح عملك بصلة الرحم وبر القرابة ، وإياك والأثرة ، والتبذير لأموال الرعية ، واشحن[4] الثغور ، واضبط الأطراف وأمّن السبل وخص الواسطة[5] ، ووسّع المعاش ، وسكّن العامة ، وأدخل المرافق عليهم ، واصرف المكاره عنهم ، وأعدّ الأموال واخزنها . وإياك والتبذير . فإن النوائب غير مأمونة ، والحوادث غير مضمونة ، وهي من شيم الزمان ، وأعدّ الرجال والكراع[6] والجند ما استطعت ، وإياك وتأخير عمل اليوم إلى غد ، فتتدارك عليك الأمور وتضيع ، جدّ في أحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولا فأولا ، واجتهد وشمّر فيها ، وأعدد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجالا بالنهار لمعرفة مايكون بالليل ، باشر الأمور بنفسك ولا تضجر ، ولا تكسل ، ولا تفشل ، واستعمل حسن الظن بربك ، وأسيء الظن بعمالك وكتّابك ، وخذ نفسك بالتيقظ ، وتفقد من يبيت على بابك ، وسهّل أذنك للناس ، وأنظر في أمر النزاع إليك ، ووكل بهم عينا غير نائمة ، ونفسا غير لاهية ، ولا تنم فإن أباك لم ينم منذ ولي الخلافة ، ولا دخل عينك غمض إلا قلبه مستيقظ . هذه وصيتي إليك ، والله خليفتي عليك) (تاريخ الطبري ٦ : ٣٤٤ ـ ٣٤٥) .

في هذه الوصية نقف امام اخطر رجل من رجالات الدولة العباسية والذي يعد المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس ، ويعد الخليفة الاول من حيث إرساء دفة

الحكم العباسي ، ووضع الأسس لهذه الدولة الجديدة ، بعد أن مضى عهد أخيه السفاح سريعا والذي كان عهد انتقال من خلافة بني أمية التي انتهت بمقتل مروان بن محمد آخر خلفائهم إلى بداية السيطرة العباسية في سنة ١٣٢ هـ . وقد امتاز المنصور بالحزم والشدة ، وقد ورث عن أخيه وبسبب قيام دولة جديدة مشاكل واحداثا كبيرة كان عليه أن يواجهها بشدة وحزم ولولاهما لأفلت زمام امره ولم يتمكن من معالجتها ، وذلك كثورة عمه عبدالله بن علي ، واستفحال امر أبي مسلم الخراساني ، وثورات العلويين ، ومشكلة ولاية العهد ، هذا بالإضافة إلى الكثير من المشاكل ، السياسية والإدارية وغيرها التي تصادف كل دولة جديدة عند بداية قيامها .

من خلال التوجيهات السياسية التي صدرت بها هذه الوصية نلحظ الكثير من الملامح التي تميزت بها شخصية المنصور ، فنجده مثلا يوصي ابنه (المهدي) باليقظة والحرص وتفقد أمور دولته بنفسه ، وعدم اتكاله على عماله وكتبته بل أراده أن يكون سيء الظن بهم ، وذلك كقوله (وأسيء الظن بعمالك وكتبتك) ، وفي قوله أيضا (ووكل بهم عينا غير نائمة ولا تنم فإن أباك لم ينم منذ ولي الخلافة) فقد أراده أن يباشر عمله بنفسه ولا يفوته شيء من أمر الدولة والرعية .

أما في قوله (وأعد الأموال وأخزنها ، وإياك والتبذير فإن النوائب غير مأمونة) فهذا القول ينقل لنا ملمحا آخر من ملامح هذه الشخصية فهو يحثه على جمع المال وعدم تبذيره على توافه الأمور ، فلعل هذا من الأمور التي دعت الكثيرين إلى وصفه بالبخل .

والمنصور صدرت له العديد من الوصايا لأبنه المهدي ولعله فاق غيره من الخلفاء العباسيين في هذا الجانب . وقد اسهب وأطال في البعض منها وقد أورد اليعقوبي وصيــة له أطال فيها حتى ذكر اليعقوبي في آخرها : (وأمره في أمور يطول الكتاب بها ، فاقتصرنا على صدر الوصية) (تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٩٢ ـ ٤٩٤) .

وهي قوله : في عهده ووصيته إلى المهدي التي قرئت بعد وفاته ، لما تولى المهدي الخلافة : ـ

« بسم الله الرحمن الرحيم » ، هذا ما عهد عبد الله أمير المؤمنين إلى المهدي محمد بن أمير المؤمنين ولي عهد المسلمين حين أسند وصيته إليه بعده واستخلفه على الرعية من المسلمين وأهل الذمة وحرم الله وخزائنه وأرضه التي يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . إن أمير المؤمنين يوصيك بتقوى الله في البلاد والعمل بطاعته في العباد ، ويحذرك الحسرة والندامة والفضيحة في القيامة قبل حلول الموت وعاقبة الفوت حين تقول : رب لولا أخرتني إلى أجل قريب . هيهات : أين منك المهل وقد انقضى عنك الأجل . وتقول : رب ارجعني لعلي أعمل صالحا . فحينئذ ينقطع عنك أهلك ويحل بك عملك فترى ما قدمته يداك وسعت فيه قدماك ونطق به لسانك واستركبت عليه جوارحك ولحظت له عينك وانطوى عليه عيبك فتجزى عليه الجزاء الأوفى إن شرا فشرا وإن خيرا فخيرا . فلتكن تقوى الله من شأنك وطاعته من بالك واستعن بالله على دينك وتقرب به إلى ربك ، ونفسك فخذ منها ولا تجعلها للهوى ولن تعمل الشر قامعا ، فليس أحد أكثر وزرا ولا أعز إثما ولا أعظم مصيبة ولا أجل رزيئة منك لتكاثف ذنوبك وتضاعف اعمالك ، إذ قلدك الله الرعية تحكم فيهم بمثل الذرة فيقتصون منك اجمعون وتكافي على افعال ولاتك الظالمين فإن الله يقول : إنك ميت وأنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون (سورة الزمر الآيتان ٣٠ ، ٣١) فكأني بك وقد أوقفت بين يدي الجبار وخذلك الانصار واسلمك الأعوان وطوقت الخطايا وقرفت بك الذنوب وحل بك الوجل وقعد بك الفشل وكلتْ حجتك وقلتْ حيلتك وأخذت منك الحقوق واقتاد منك الخارق في يوم شديد هوله عظيم كربه تشخص فيه الأبصار لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . فما عسيت أن يكون حالك يومئذ إذا خاصمك الخلق واستقصى عليك الحق ، إذ لا خاصة تنجيك ولا قرابة تحميك ، تطلب منه التباعة ولا تقبل فيه الشفاعة ويقضي فيه بالفصل : قال الله : ﴿لا ظلم

اليوم إن الله سريع الحساب ﴾ (سورة غافر الآية ٧) . فعليك بالتشمير لدينك والإجتهاد لنفسك فإفكك عنقك وبادر يومك واحذر غدك واتق دنياك فإنها دنيا غادرة موبقة ، ولتصدق لله نيتك وتعظم إليه فاقتك وليتسع انصافك وينبسط عدلك ويأمن ظلمك . وواسي بين الرعية في الإحتكام واطلب بجهدك رضى الرحمن ، وأهل الدين فليكونوا اعضادك وأعط حظ المسلمين من أموالهم ووفر لهم فيأهم وتابع اعطياتهم عليهم وعجل نفقاتهم إليهم سنة سنة وشهرا شهرا . وعليك بعمارة البلاد بتخفيف الخراج واستصلح الناس بالسيرة الحسنة والسياسة الجميلة ، وليكن أهم أمورك إليك تحفظ أطرافك وسد وثغور وأكماش بعوثك . وأرغب إلى الله عز وجل في الجهاد والمحاماة عن دينه واهلاك عدوه بما يفتح الله على المسلمين ويمكن لهم في الدين ، وابذل في ذلك مهجتك ونجدتك ومالك ، وتفقد جيوشك ليلك ونهارك وأصرف مراكز خليلك ومواطن رسلك . وبالله فليكن عصمتك وحولك وقوتك ، وعليه فليكن ثقتك واقتدارك وتوكلك فإنه يكفيك ويغنيك وينصرك وكفى به مؤيدا ونصيرا (تاريخ اليعقوبي جـ٢ ـ ٣٩٢ ـ ٣٩٤) .

والمنصور في هذه الوصية يبتعد قليلا عن موقفه في الوصية السابقة . ـ لذا أثبتنا الوصيتين في هذا البحث لنرى مدى الإختلاف بينهما ـ ففي الأولى اهتم بالجانب الدنيوي ، وفي تدبير السياسة والحكم ، وفي كيفية متابعة عماله ووزرائه . أما الثانية فيظهر فيها بوضوح الإهتمام بالجانب الديني . إذ يوصيه في مطلعها بتقوى الله في البلاد ، وطاعته في العباد ، ثم يذكره بالحياة الآخرة ، ويحذره من عقاب ذلك اليوم . بل أراده أن يعد نفسه إعدادا حسنا له وأن لايقع في لوعة وحسرة على مافات ، فهو يهول ذلك ويعظمه تعظيما .

وعلى الرغم من أن المنصور كان شديد الحزم قوى البأس متبعا سياسة القمع في حكمه ، إلا أننا نجده في هذه الوصية شديد التقوى صادق الإيمان في حث ابنه على تقوى الله في الناس والعدل بينهم ومراقبة امورهم . محذرا له من عذاب يوم

الآخرة حين يقف وحيدا بين يدي الله لايشفع له أهل ولا أعوان إلا بما قدمت يداه . وكان المنصور يرى أن هذا الأمر لا يتحقق لفرد إلا إذا كان ذا صلة برجال الدين والفقهاء ونلمح ذلك في وصيته لابنه حين قال : (يا أبا عبد الله عندما تجلس مجلسك ، ليكن معك على الدوام فقهاء تتحدث إليهم ، لأن محمد بن شهاب الزهري قد قال : الحديث مذكر لايحبه إلا الفحول ولا يكرهه إلا المخنثون ، وقد صدق) (الطبري ٣ : ٤٠٤) .

لئن كان المنصور قد جنى على أحد جناية أو أخذ من أحد مالا فقد جعله في بيت المال مميزا وكتب عليه اسم صاحبه ، فلما أدركته الوفاة أوصى ابنه المهدي بقوله : (يا بني إني أفردت كل شيء أخذته من الناس على وجه الجناية والمصادرة ، وكتبت عليها اسماء اصحابه ، فإذا وليت أنت فأعده على أربابه يدعو لك الناس ويحبونك) (الفخري ١٥٩ ـ ١٦٠) .

وله وصية أخرى أوصى بها ابنه يحثه فيها على التفكر قبل البت في أي أمر ثم أوصاه بالتقوى والعدل بين الناس والعفو عند المقدرة ، وهي قوله : (يا بني لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه ، فإن فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته ، وأعلم أن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه) (نهاية الأرب ٦ : ٤١ ، تاريخ الخلفاء ١٧٥ ـ ١٧٦ . الوزراء : ١٢٦).

لئن كانت وصايا المنصور قد نقلت إلينا جوانب عديدة في شخصيته ، فقد نقلت ايضا جانبا من ثقافته كسعة علمه وأدبه ، وفيها يتضح اتقانه اللغوي ، وتمكنه من صياغة عباراته بلغة جزلة متينة تتناسب مع المعاني الشريفة التي صدرت بها وصاياه ، وكذلك الحال في الوصايا التي أطال فيها ، فهي تسير بنفس المستوى من الاتقان والقوة ، ولا غرابة في ذلك ، فهو ممن أتقن اللغة اتقانا كاملا لأنه أرضع

في البادية ، وعاش مع البدو فصقلت لغته ، وصح نطقه ، وحفظ الكثير من اشعار العرب واخبارهم وحكمهم ونوادرهم (المنصور - جومرد : ٦٠) ، وبعد عودته إلى الحميمة درس اللغة والنحو والفقه والتاريخ والفلك ، وكان له كتاب (ولكلامه كتاب يدور في ايدي الوراقين معروف عندهم) (البيان ٢ : ٣٦٧) وكانت له اخبار ونوادر . وقد سعى المنصور إلى تأديب نفسه وتثقيفها في الوقت الذي كان يعد فيها لتأسيس الدولة العباسية الجديدة ، فلم يشغله هذا الأمر عن الاتصال باعلام العصر ، والأخذ عنهم ، فعند سفره إلى البصرة - للإتصال برجال الدعوة - تردد على مجالس العلماء كالخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وهما من أشهر علماء اللغة في عصره . واتصل بشبيب بن شيبة التميمي الأهتمي حتى قال عنه بأنه (من أبين الناس وافصحهم لسانا) . فلذلك نطق بلغة بليغة وعبارات جزلة رصينة ، وقد استشهد بالآيات القرآنية . وأخذ الكثير من معانيها ليضمنها بعض وصاياه ، وتحدث عن جوانب عديدة في الشريعة وذلك لاتقانه لعلوم الدين والشريعة ، فقد ذكرت المصادر بأنه كان يجلس في حلقة أزهر بن سعد السمان الباهلي ، وأبي بكر البصري (المستظرف من كل مستظرف ١ / ١٢٦) وقد وصفه الرواة بأنه (ثقة ومن فضلاء الأئمة وعلماء الأمة) (شذرات الذهب ٢ : ٥) وهو راو للحديث وهو الذي طلب من الإمام مالك أن يضع له كتابا في الشريعة ، فوضع الموطأ . فإن مهام هذه الدولة الجديدة والتفكير بالنهوض بها لم يشغلاه عن الاتصال بالعلم والعلماء . فقد استطاع بعد أن تولى الخلافة أن يبني مدينة بغداد ، وأن يجعلها منارا للعلم والحضارة في ذلك العصر وأن يستقدم لها العلماء ، وقد صدق المسعودي حين قال عنه (نظر المنصور في العلم ، وقرأ المذاهب ، وارتاض الآراء ، ووقف النحل ، وكتب الحديث فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم) (مروج الذهب ٤ : ٣١٥) ، وكان متصلا برجال الإعتزال ، فقد ذكر أنه اجتمع بعمرو بن عبيد وهو شيخ المعتزلة المعروف من قبل توليه الخلافة (رجال السند والهند : ١٨٣) وكان يعظه كثيرا ، ويقال أنه وعظه مرة حتى أبكاه ، ولما طلب إليه

سليمان بن مجالد الرفق بالخليفة ، رد عليه عمرو (بمثلك ضاع الأمر واندثر) (تاريخ بغداد ١٢ : ١٦٨) ويقال أن المنصور حزن حزنا شديدا حين وفاته قال (يرحم الله عمرا هيهات أن يرى الدهر مثل عمرو) (تاريخ بغداد ١٢ : ١٦٨) .

وأود الإشارة هنا إلى أنه ليس للقيمة الفنية فحسب قمت بنقل وصايا المنصور كاملة في هذا الموضع ، وإنما لأهميتها في توضيح المنهج السياسي الذي سار عليه العباسيون عند تأسيس هذه الدولة ، ولتحديد الملامح الخاصة في شخصية هذا الخليفة الذي يعد المؤسس الحقيقي لهذه الدولة .

ومن وصايا الآباء التي تصادفنا في هذه الفترة وصية عبدالله بن الحسن بن علي يوصي بها ابنه محمد النفس الزكية ، وقد يكون أوصى بها إبنه ابراهيم فيقول فيها : - (أي بني ، إني مؤد حق الله في تأديبك ، فأد إليّ حق الله في الاستماع مني ، أي بني كف الأذى وأرفض البذا ، واستعن على الكلام بطول الفكر ، في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام ، فإن للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب ، وأحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا ، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشا ، لأنه يرديك بمشورته . واعلم أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائما ، ووجدت هواك يقظان ، فإياك أن تستبد برأيك ، فإنه حينئذ هواك ، ولا تفعل فعلا إلا وأنت على على يقين أن عاقبته لا ترديك ، وأن نتيجته لا تجني عليك (زهر الآداب ١ : ٩٢ البيان ١ : ٣٣٢ ، ٢ : ١٧٤) .

وكان عبد الله شيخ الطالبين في عصره وكان من رجال هاشم وساداتهم . وقد اشتدت الخصومة بين ابنيه وبين المنصور ، وقد ثار محمد النفس الزكية في سنة ١٤٥ هـ . بعد أن بث الدعاة في الحجاز والعراق ، وتبعه جمع غفير وقد انتهى الأمر بقتله وقتل اخيه ابراهيم . في سنة ١٤٥ هـ . (الفخري ١٦٣ ، ١٦٥) .

إذا عدنا إلى وصية عبد الله السابقة نجد أنه صدرها بتوجيهات عامة حث إبنه على اتباعها مثل كف الأذى وحسن الإستشارة وكيفية اختيار صاحب الرأي واستشارته وعدم الإستبداد بالرأي ، وهي لا تختلف كثيرا عن وصايا الآباء للأبناء في الجاهلية ، وصدر الإسلام ، إلا أنها اختلفت عنها في هجرها للألفاظ الحوشية الغريبة واحتفظت بفصاحة اللفظ ورصانته بعيدا عن التكلف والصناعة اللفظية . وقد لا نلمح في هذه الوصية روح المعاناة والصراع التي عاشها مع ابنائه في ثورتهم وصدامهم مع المنصور والعباسيين ، فقد تكون صدرت لإبنه في فترة مبكرة من حياته ، وكان ابنه في المراحل الأولى من حياته وأراد منها تأديبه وتربيته .

وعند الإنتقال إلى عهد المهدي تصادفنا وصيته المشهورة لابنه الهادي في تتبع أمر الزنادقة والقضاء عليهم ، وهو الخليفة الذي أمر بتعيين رجل خاص يعهد إليه بأمرهم فيبحث عنهم ، وينكل بهم ، ولإهتمامه بهذا الأمر ، نراه يوصي ابنه الهادي إذا قلد الأمر أن ينكل بهم ووصيته هي قوله : (يا بني إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كإجتناب الفواحش ، والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور ، وقتل الهوام تحرجا وتحوبا ، ثم تخرجها من هذا إلى عبادة اثنين احدهما النور والآخر الظلمة ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات ، والإغتسال بالبول ، وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور . فارفع فيها الخشب ، وجرد فيها السيف ، وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك لـــه ، فإني رأيت جدك العباس في المنام قلدني بسيفين ، وأمرني بقتل أصحاب الاثنين .)
(الطبري ٣/٢٤٠) .

فهذه الوصية لم تعن بجانب تربوي أو جانب تعليمي ، وليس فيها ما يعني بالنواحي التأديبية لولي العهد كإعداده إعدادا خاصا يعينه في تولي مهام الحكم فيما بعد . إنما نظرت في قضية كانت بالغة الخطورة في نظر الخليفة المهدي ـ وهي قضية

الزنادقة - بحيث لم يكتف بما جهز لها من الرجال والتدابير الخاصة لمكافحتها والقضاء على اصحابها ، وإنما رسم لإبنه ما يحيه في القضاء عليها ، بعد أن نبهه إلى خطورة هذه الجماعة وخطر أفكارها ومعتقداتها المسمومة على الإسلام والمسلمين وعلى سلامة هذه الدولة وبقائها .

ومن الوصايا التي تصادفنا في هذه الفترة وصية عبد الملك بن صالح لابنه وهو احد رجالات بني العباس ، فهو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس وكان نبيلا شريفا شديد الوقار ، والدين والحشمة ، وقد ذكر الفخري بان الرشيد قد التمس منه ان ينادمه وبذل له على ذلك اموالا كثيرة فلم يفعل (الفخرى : ٢٠٥ ، النجوم ٢ : ٩٠) ويقال ان امه ام ولد كانت لمروان بن محمد ثم اشتراها صالح بن علي فولدت له عبد الملك هذا (الوزراء : ٢٦٢ - ٢٦٣) (النجوم الزاهرة ٢/ ٩٠) .

ونقف قليلا عند بعض فقرات هذه الوصية في مثل قوله :

(أي بني احلم ، فان من حلم ساد ، ومن تفهم ازداد ، والق اهل الخير فان لقاءهم عمارة للقلوب، ولا تجمع بك مطية اللجاج ، وفيك من اعتبك ، والصاحب المناسب لك ، والصبر على المكروه يعصم القلب ، المزاح يورث الضغائن ، وحسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الاسراف والاقتصاد يثمر القليل ، والاسراف يبير الكثير ، ونعم الحظ القناعة ، وشر ما صحب المرء الحد ، وما كل عورة تصاب ، وربما ابصر العمى رشده ، واخطأ البصير قصده ، واليأس خير من الطلب الى الناس ، والعفة الحرفة خير من الغنى مع الفجور ، ارفق في الطلب وأجمل في الكسب ، فانه رب طلب ، قد جر الى حرب ، ليس كل طالب بمنجح ، ولا كل ملح بمحتاج والمغبون من غبن نصيبه من الله ، عاتب من رجوت عتباه ، وفاكه من امنت بلواه ، لا تكن مضحاكا من غير عجب ، ولا مشاء الى غير

أرب) ، ويمضي في وصيته هذه حتى يصل الى قوله : (وفوت الفرصة يورث الحسرة ، جميع أركان الأدب التأني والرفق ، اكرم نفسك عن كل دنية ، وان ساقتك الى الرغائب ، فانك لا تجد بما تبذل من دينك ونفسك عوضا ، لا تساعد النساء فيمللنك ، واستبق من نفسك بقية ، فانهن أن يرين أنك ذو اقتدار ، خير من أن يطلعن منك على انكسار ، لا تملك المرأة الشفاعة لغيرها ، فتميل من شفعت لها عليك معها ، أي بني ، اني قد اخترت لك الوصية ، ومحضتك النصيحة ، وأديت الحق الى الله في تأديبك ، فلا تغفلن الاخذ بأحسنها ، والعمل بها ، والله موفقك ») . (البيان ٤/٩٣ ـ ٩٥) .

فهذه الوصية لو قرئت دون معرفة اسم قائلها ، لظن انه لاحد حكماء العرب الجاهلين ، في نصح ابنه ، اذ انها لا تختلف كثيرا عما تميزت به الوصايا في العصر الجاهلي سواء في جانب اللغة أو في جانب المعاني ، فالبناء اللغوي لهذه الوصية لا يختلف كثيرا عن الوصايا القديمة ، فالجمل قصار ، والمعنى المراد يصاغ بعبارة او عبارتين لا يزيد عنها ، ويتم الانتقال فيها من معنى الى آخر في الغالب دون تمهيد . بالاضافة الى خلو عباراتها من السجع او العناية بالزينة اللفظية . وكذلك الحال في المعاني ، فقد اشتملت على معان وردت كثيرا في وصايا القدماء . ولعل ما يؤيد نسبتها الى هذا العصر هو صياغتها بلغة تميل الى السهولة والوضوح والبعد عن الحوشي والغريب .

ومن الوصايا التي صدرت من الوزراء والقواد لابنائهم وصايا يحيى بن خالد البرمكي لابنائه ، وكان يحيى البرمكي من أقوى رجالات هذه الدولة وأكثرهم قربا ومعاصرة لفترة تأسيسها وقد استطاع بدرايته وخبرته ان يصل الى قلب الخلافة العباسية في عصره وان يكون له ولابنائه الدور الاكبر في تسيير امور هذه الدولة حتى جاءت نكبتهم على يد الرشيد . فمن وصيته لابنه الفضل عندما علم الرشيد

بانشغاله بالصيد بعد ان ولاه خرسان وامر والـده (يحيى) بان يكفيه أمره فكتب لابنه موصيا وناصحا : (حفظك الله يا بني وأمتع بك ، فقد انتهى الى امير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في امور الرعية مـا أنكره ، فعاود ما هو أزين بك فانه من عاد الى ما يزينه أو يشينه لم يعرفه أهل دهره به ، والسلام . وكتب في أسفل كتابه هذه الأبيات :

أنصب نهارا في طلاب العلا ... واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا أتى مقبلا ... واستترن فيه وجوه العيوب
فكايد الليل بما تشتهي ... فانما الليل نهار الأريب
كم من فتى تحسبه ناسكا ... يستقبل الليل بامر عجيب
أرخى عليه الليل أستاره ... فبات في لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو رقيب

(وفيات الاعيان : ٣ : ١٩٨ ، مروج الذهب ٣ : ٣٧٧ ـ ٣٧٨ . معجم الأدباء ٢٠ : ٨٠).

فالذي نلحظه بوضوح ان ما اراده يحيى في وصيته لابنه جاء في هذه الابيات التي ضمنها وصيته ، فقد كانت من وضوح المعنى وبيان الالفاظ ودقتها اكثر عمقا وتأثيرا مما جاء في الفقرة الاولى من الوصية .

فان كان يحيى لم ينه ابنه عن اتيان هذه الامور فقد أراده أن يظهر الوقار والحشمة في النهار وأمام الناس وان يقدم على ما شاء من اللذة واللهو في الليل الذي يستره بأستاره من أعين الرقباء .

وفي وصية اخرى له دعا ابنه الى ان يكون اعوانه وكتابه من الاشراف وليسوا من السفلة ، لانهم كما قال : (النعمة فيهم أبين ، والمعروف عندهم أشهر ،

والشكر منهم اكثر) (الوزراء : ١٧٩) .

وكذلك قوله لاحد ابنائه في وصية اخرى (عليك بكل نوع من انواع العلم ، فخذ منه ، فان المرء عدو ما جهل ، وانا اكره ان تكون عدو شيء من العلم ، وأنشد :

تفنن وخذ من كل علم فانما يفوق أمرؤ في كل فن له علم

فانت عدو للذى انت جاهل به ولعلم انت تتقنه سلم

(أدب الدنيا والدين / ٣١) .

فيحيى في الوصية الأولى عنى بالجانب التأديبي لابنه . وأما في الوصية الاخيرة فقد عني بالجانب التعليمي ، واراد لابنه ان يلم بكل لون من ألوان العلم ، لتكتمل شخصيته وليحفظ مكانته ومكانه أسرته في هذه الدولة . فهم اكثر اتصالا وقربا لرأس السلطة العباسية ، فعلى يحيى أن يأخذ ابنه ببعض الآداب والمعارف ليكون أهلا لهذه المكانة . وهذه الثقة من الرشيد ، فأراد يحيى ان تكون معانيه اكثر تأثيرا في نفوس ابنائه ومشاعرهم عندما نظمها شعرا في اغلب وصاياه .

ومن وصايا المأمون لابنائه قوله عندما جمعهم :

(يا بني ليعلم الكبير منكم انه انما عظم قدره بصغار عظّموه ، وقويت قوته بضعاف اطاعوه وشرفت همته بعوام اطاعوا له فلا يدعونه تفخيم المفخم منهم اياه الى تصغيره وتعذير أمره إلى تذليله ولا يستأثرون بعائده ورفق ولا يؤامن بتسمية عبد انكم تسمية الاعاجم وليا وأخا فان الشيء الذي قوله من اجزاء خسيسة ومعان مذمومة فهو ايضا خسيس مذموم وكل امر من ذلك جزء من عدده وعماد من عساده فاذا اختلّت اجزاؤه ومالت دعائمه مال العماد وتهدم الكل . وقد قيل كل من ملك

احرارا كان اشرف ممن ملك عبيدا مستكرهين . يا بني ارجعوا فيما اسببه عليكم من التدبير الى آراء الحزمة المجربين فانهم مرايا يرونكم ما لا ترون قد صحبوا لكم الدهر وكفوكم التجارب ، وقد قيل ان من جرّعك المرّ لتبرأ هو اشفق عليك ممن سقاك حلو لسقم ومن خوّفك لتأمن أبرّ ممن امنك حتى تخاف . وقال : الاخوان ثلاث طبقات أخ كالغذاء الذي يحتاج اليه في كل يوم وفي كل وقت وهو الأخ العاقل الاديب واخ كالدواء وتحتاج اليه عند الداء، وهو الأخ الاريب . وأخ كالداء الذي لا تحتاج اليه وهو الاحمق . وكان يقول اعظم الناس سلطانا من تسلط على نفسه فوليها بحكم التدبير وملك هواه فحمله على محاسن الامور وأشرب معرفة الحق فانقاد للواجب فوقف عند الشبهة حتى استوضح مقرّ الصواب فتوجاه ورزق عظيم الصبر فهان عليه هجوم النوائب تأميلا لما بعدها من عواقب الرغائب وأعطي فضيلة الصمت فحبس غريب لسانه . ومما ينبغي للملوك الاحتياط اختيار الكفاة من الاعوان وانزالهم منازلهم والانتصار بهم على ما يطيقونه ـ ثم انشد :

من كان راعيه ذئبا في حديقته فهو الذي نفسه في امره ظلما
يرجو كفايته والغدر عادته ومن ولايته يستشعر الندما

(خلاصة الذهب ١٣٩ ـ ١٤٠).

لقد أراد المأمون بهذه الوصية أن يبث روح المحبة والتعاطف بين أبنائه، فبها يتم لهم الثبات والقوة ، فلا يريد لكبيرهم ان يتكبر ويتجبر على الصغير ، وان لا يدفعهم هذا الى التجبر على الرعية والاستهانة بأمرها وذلك بسبب تفخيم الرعية لهم وتعظيمهم .

ثم حثهم على الاتصال بأهل الرأى والحكمة ليتزودوا منهم بهذا الزاد من تجاربهم وخبراتهم في الحياة . ووجد في اصحاب الرأى مرآة ناصعة تعكس للمستشير مالا يراه في نفسه من عيوب . ثم ختم هذه النصيحة بهذا المثال : (وقد

قيل : من جرعك المر ليشفيك هو اشفق عليك ممن سقال حلوا لتسقم ، ومن خوفك لتأمن أبرّ ممن أمنك حتى تخاف). وهو يلح على هذا الامر فيكرره في العديد من وصاياه مثل قوله : (استشيروا ذوى الرأي والتجربة والحيلة فانهم اعلم بمصارف الأمور وتقلبات الدهور ، وأطيعوهم ، وتحملوا ما يغلطون من قول أو يكشفونه من عيب ، لما ترجونه من حال تصلح ، وفتق يرتق ، فان من جرعكم المرارة لشفائكم اشفق ممن اطعمكم الحلاوة لاسقامكم) (تحفة الوزراء : ٨٧).

فالمأمون يكرر المعنى نفسه بعبارات وصيغ مختلفة ليثبت هذا الامر في اذهان ابنائه بالاضافة الى انها تميزت بقوة الالفاظ وبلاغتها وقرب معانيها .

والمأمون من اشهر خلفاء بني العباس علما وأدبا ، فقد كان مطلعا على معارف عصره ، ملما بالكثير من علوم اليونان وآداب الفرس ، قد قرأ الفلسفة والمنطق ، حتى غدا من اكثر المختصين بعلم الكلام وحمل الناس على القول بخلق القرآن وكان هذا من اهم المبادىء التي نادت بها فرقة المعتزلة . فكان اعتناق المأمون هذا المذهب السبب المباشر في نفوذ هذه الفرقة وعلو كلمتها حتى أصبح لرؤسائها الدور الخطير في دولة المأمون . واطلع أيضا على آداب الفرس وألم بما تحويه آدابهم من حكم ووصايا وأمثال . فمن الطبيعي ان يكون لهذه الثقافات التي ألم بها الأثر البالغ في تفكيره وفي ادارته لدفة الحكم . مضافا الى ذلك كله العلم الغزير والعقل الراجح والحلم والدراية التي اتصف بها ، وقد وصفه ابوه الرشيد عندما عقد البيعة الى الأمين اولا قائلا : (والله اني لأتعرف في عبدالله (يعني المأمون) حزم المنصور ، ونسك المهدي ، وعزة نفس الهادي ، فلو شاء ان انسبه الى الرابعة لنسبته . اني لأرضى سيرته ، واحمد طريقته ، واستحسن اسمه ، وأرى قوته ، وذهنه ، وآمن ضعفه ووهنه) (خلاصة الذهب المسبوك : ٨٧).

وللمأمون وصية أخرى قالها عندما حضرته الوفاة لاخيه المعتصم ، فان كنا وضعناها في هذا الباب وهي لم تكن صادرة من أب لابنه فذلك لانها كغيرها من

وصايا ولاة العهد التقليدية . وهي لا تختلف كثيرا عن وصايا المنصور لابنه المهدي التي كانت ترشده وترسم له الطريق عند توليه الحكم ، وهي قوله : (يا أبا اسحاق : ادن مني واتعظ بما ترى وخذ بسيرة أخيك في القرآن واعمل في الخلافة اذا طوقكها الله عمل المريد لله الخائف من عقابه وعذابه ، ولا تغتر بالله ومهلته ، فكان قد نزل بك الموت ، ولا تغفل أمر الرعية ، الرعية الرعية ، العوام العوام ! فان الملك بهم وبتعهدك المسلمين والمنفعة لهم ، الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين ولا ينهين اليك أمر فيه صلاح المسلمين ومنفعة لهم الا قدمته وآثرته على غيره من هواك ، وخذ من أقويائهم لضعفائهم ولا تحمل عليهم في شيء وانصف من بعض بالحق بينهم وقربهم وتأنهم وعجل الرحلة عني والقدوم الى دار ملكك بالعراق . وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل وقت ، والخرمية فاغزهم ذا حزامة وصرامة وجلد ، واكنفه بالاموال والسلاح من الفرسان والرجالة . فان طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه ، راجيا ثواب الله عليه . واعلم أن العظة اذا طالت أوجبت على السامع لها والموصى بها الحجة ، فاتق الله في أمرك كله ولا تفتن .

ثم دعا أخاه أبا اسحاق بعد ساعة حين اشتد به الوجع وأحس بمجيء أمر الله فقال له :

يا أبا اسحاق : عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن بحق الله في عباده ولتؤثرن طاعته على معصيته ، اذا أنا نقلتها من غيرك اليك :

قال : اللهم نعم .

قال : فانظر من كنت تسمعني أقدمه على لساني فأضعف له التقدمة عبد الله بن طاهر أقره على عمله ولا تهجه . فقد عرفت الذي سلفت منكما أيام حياتي

وبحضرتي ، استعطفه بقلبك وخصه ...رك فقد عرفت بلاءه وغناءه عن اخيك ، واسحاق بن ابراهيم(٧) فاشركه في ذلك فانه أهل له ، وأهل بيتك فقد علمت انه لا بقية فيهم وان كان بعظهم يظهر الصيانة لنفسه . عبدالوهاب عليك به من بين أهلك فقدمه عليهم وصير أمرهم اليه . وأبو عبدالله بن أبي دؤاد(٨) فلا يفارقك وأشركه في المشورة في كل أمرك فانه موضع لذلك منك ، ولا تتخذن بعدي وزيرا تلقي اليه شيئا فقد علمت ما نكبني به يحيى بن أكثم(٩) في معاملة الناس وخبث سيرته حتى أبان الله ذلك منه في صحة مني فصرت الى معارضته قاليا له غير راض بما صنع في أموال الله وصدقاته لا جزاه الله عن الاسلام خيرا . وهؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأحسن صحبتهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، واقبل من محسنهم . وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها فان حقوقهم تجب من وجوه شتى . اتقوا الله ربكم حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون . اتقوا الله واعملوا له . اتقوا الله في اموركم كلها . استودعكم الله ونفسي واستغفر الله مما سلف . واستغفر الله مما كان مني انه كان غفارا ، فانه ليعلم كيف ندمي على ذنوبي فعليه توكلت من عظيمها ، واليه أنيب ولا قوة الا بالله حسبي الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة) (تاريخ الطبري ٨ : ٦٤٨ - ٦٥٠) الكامل لابن الاثير ٦ : ٤٢٩ - ٤٣١) .

المأمون يدعو أخاه في اول هذه الوصية الى الأخذ بسيرته في القرآن ، فهو يدعوه الى اخذ الناس بالقول بخلق القرآن ، واتباع مذهب المعتزلة في هذا الجانب ، ثم حثه على تقوى الله في الرعية ، وتعهد امورهم ، والمنفعة لهم .

وفي الفقرة الثانية من هذه الوصية يدعوه الى رعاية بعض الشخصيات في دولتهم ، والابقاء عليهم لما بذلوه من خدمة واخلاص ، مثل عبدالله بن طاهر ، وكذلك أبو عبدالله بن أبي دؤاد الذي اراده ان يشركه في المشورة في كل أمره ، ويحذره من بعضهم كيحيى بن اكثم في قوله : (فقد علمت ما نكبني به يحيى بن

اكثم في معاملة الناس وخبث سيرته)، ثم دعاه الى الالتفات الى بني عمه من اولاد علي بن أبي طالب وحثه على الاحسان اليهم ، والتجاوز عن مسيئهم ، والمنفعة لهم . وقد يكون المأمون صادقا في دعوته هذه فهو الخليفة العباسي الوحيد الذي عهد بالخلافة من بعده الى احد ابناء علي وهو علي الرضا بن موسى الكاظم (الامام الثامن في ترتيب الشيعة الاثنى عشرية) وقد كان ورعا تقيا وكان المأمون يعظمه . فان رأى بعض الدارسين ان الذي دعا المأمون الى هذا التصرف (هو شعوره بالاسى لما أصاب ابناء عمومته خلال دولتهم) (العصر العباسي شوقي ضيف : ٣١) فاراد يزيل بعض الضيم عنهم بهذا التصرف ، فان البعض الاخر يرى ان الذي دعاه هو (ان مذهب المأمون الديني كان متمشيا تماما مع مذهبه السياسي ، وانه اذا كان يريد من وراء خطته السياسية من التزوج من هذا الحزب وذاك ، ومن ارضاء هذا الطرف وذاك ، ان يظفر بتكوين وحدة سياسية من شتى الاحزاب ، ولو أدى ذلك ان يكون من العلويين خليفة ، ثم من العباسيين خليفة ما دامت بغيته متحققة من استتباب الأمن ، وامتزاج الاحزاب ، وتوحيد القوى ، فكذلك كان يريد ان يتخذ من مذهبه الديني مذهبا وسطا .) (عصر المأمون / احمد رفاعي ١/ ٣٧١ - ٣٧٢) .

فإن لم يتضح تصرف المأمون هذا أكان نابعا من حب خالص لهذه الجماعة ، أم كان نابعا من غاية سياسية تدل على حكمة ودراية وحسن تدبير في الحكم ، فتتضح في النهاية صدق العبارة بما تحمله من معنى في وصية المأمون لأخيه (ولي العهد) ، وقد تكون رغبته وغايته من ذلك تحقيق الأمرين : **رعاية هذه الجماعة والإهتمام بها لقرابتها منهم . تهدئة الخواطر ، ومراضاة الفرق والمذاهب السياسية لإستتباب الأمن وتوحيد القوى .**

أما من الناحية اللغوية ، فلا نرى في هذه الوصية ما يميزها عن غيرها من وصايا ولاة العهد ، فقد صيغت بلغة العصر وألفاظه وبعدت كل البعد عن ألوان

الزينة اللفظية ، وعن كل تكلف وتعقيد ، ولأنها صدرت - كما ذكرنا - من صاحبها ساعة احتضاره . فهمّه من ذلك في تلك اللحظة نقل ما يريده إلى الموصى له .

ومن الوصايا التي نالت شهرة في ذلك العصر وتناقلتها كتب الأدب والتاريخ وصية طاهر بن الحسين لابنه عبدالله عندما ولاه المأمون ديار ربيعة فلم يهمل طاهر أي جزئية في توجيه ابنه إلا وتعرض لها في هذه الوصية ، وقد شاعت بين الناس ، فكتبوها وتدارسوها حتى سمع بها المأمون ، فلما قرأها المأمون قال : ما أبقى طاهر شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به .) وأمر أن تكتب منها نسخ وترسل إلى جميع العمال في نواحي الأعمال ، فقد كانت هذه الوصية من الوثائق التاريخية المهمة لما لها من قيمة علمية وأدبية وإجتماعية وسياسية . وطاهر بن الحسين بن مصعب أبو طلحة الخزاعي الملقب ذا اليمنين) (النجوم الزاهرة ٢ : ١٨٤) قاد جيوش المأمون ضد أخيه الأمين ، وهو الذي حاصر الأمين فقتله وأتى برأسه إلى أخيه في سنة ١٩٨ هـ ، وقد ولاه المأمون خراسان المشرق في سنة ٢٠٥ هـ ، وقد اشتهر بالكتابة البليغة في عصره . ومثال ذلك قوله في وصيته المشهورة هذه (عليك بالاقتصاد بالأمور كلها ، فليس شيء أبين نفعا ، ولا أخص أمنا ، ولا أجمع فضلا من القصد ، والقصد داعية إلى الرشد ، والرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق منقاد الى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ، فأثره في دنياك كلها ، ولا تقصر في طلب الأخرة ، والأجر والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ، ومعالم الرشد ، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له ، اذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ، ومرافقته أوليائه في دار كرامته .) (تاريخ الطبرى ٨ : ٥٨٤ - ٥٩١ ، كتاب تاريخ بغداد لابن طيفور : ٢٥ - ٣٤) .

فبعد الاطلاع على هذه الوصية كاملة لا نجد فيها العناية اللغوية والترويق

اللفظي ، الذي بدأ يشيع بين كتاب العصر في المراحل الاولى ، اذ ان هذا الامر لم يكن الغاية الاساسية عند الكاتب من وضع هذه الوصية . فغايته الاولى هي ان يرسم لأبنه منهجا متكاملا في السياسة وفي تدبير امور الحكم يمكنه السير عليه عند توليه المنصب القيادي في هذه الدولة .

فكانت هذه الوصية اشبه بدستور للحكم الرشيد فقد شملت جوانب مختلفة في شخصية الحاكم ، وقد نظرت في دينه وخلقه ، وما عليه ان يؤديه فيما بينه وبين ربه ، ثم موقفه من الرعية وتدبر أمورها في فئاتها المختلفة .

فقد استهلها بتقوى الله والحث على طاعته واتباع شرائعه والأخذ بسنة رسوله الكريم ، والسير على طريق السلف الصالح من بعده ، ثم دعاه الى رعاية امور العامة ، وعمارة ديارهم ، وانتظام معاشهم ، ثم أراده أن يلتفت الى الجند ويتفقد امورهم في مراقبة صرف رواتبهم في مواقيتها ، وحثه على الأهتمام بالقضاء ، فيه يستقيم العدل والامن وتأمن الرعية . والعناية بالخراج ورعاية الفقراء والمساكين وتدبير من يتولى امورهم ويوصل شكاويهم له ، واتخاذ دور لهم ، وأطباء لعلاج مرضاهم .

ويشيع في هذه الوصية التأثر الواضح بالوصايا الفارسية للحكام والملوك ونلمح فيها شبها كبيرا بينها وبين ما ورد في عهد اردشير ووصاياه لابنه . ولنلق نظرة على الفقرة التالية المختارة من وصية طاهر لنرى بعض التشابه والتقارب فيما بينها وبين ما جاء في (عهد اردشير : ٧٢ - ٧٣) (وأحسن الظن بالله عز وجل تستقيم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة الوسيلة اليه في الامور كلها تستدم به النعمة عليك ، ولا تنبض احد من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة ، فان ايقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم . واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك، واطرد عنهم سوء الظن بهم ، وارفضه منهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم . ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مغمزا ، فانه انما يكتفى بالقليل

من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك .

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة ، وتكفي به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس إلى محبتك والإستقامة في الأمور كلها لك . ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأمور الأولياء ، والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها ، بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر في حوائجهم وحمل مؤناتهم آثر عندك مما سوى ذلك ، فإنه أقوم للدين ، وأحيا للسنة .

وأخلص نيّتك في جميع هذا ، وتفرّد بتقويم نفسك تفرّد من يعلم أنه مسئول عما صنع ، ويجزي بما أحسن ، ومأخوذ بما أساء ، فإن الله جعل الدين حرزاً وعزّاً ، ورفع من اتبعه وعزّزه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى . وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم ، وما استحقوه . ولا تعطّل ذلك ولا تهاون به . ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة ، فإن في تفريطك في ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك .) (تاريخ الطبري ٨ : ٥٨٤ - ٥٨٥) .

أما ما جاء في عهد اردشير فهو قوله : (اعلموا أن صحة الظنون مفاتيح اليقين وأنكم ستستيقنون من بعض رعيتكم بخير وبشر ، وستظنون ببعضهم خيرا وشرا ، فمن استيقنتم منهم بالخير والشر فليستيقنن منكم بالخير والشر ومن ظننتموها به فليظننها بكم في أمره ، فعند ذلك يبدو من المحسن احسانه فيخالف الظن فيغتبط ، ومن المسيء اساءته فيصدق الظن فيندم .) (عهد اردشير ٧٢ - ٧٣) .

وقد يعول على هذه الوصية كدستور حكيم ، وقانون سليم ، لأنها صدرت من عقل سليم ، وفكر واع عميق ، ومن قلب هي مملوء بالحب للإبن فهي تجربة صادقة نقلت من قلب صادق ، لذا جاءت محكمة غاية الإحكام مما دعا الخليفة المأمون إلى الأمر بتدوينها ونشرها بين الناس . وارسالها إلى الولاة والحكام ليتعظوا بها .

٢ ـ الوصايا الموجهة إلى الوزراء والولاة والكتاب

قد يلزمنا قبل الاسترسال في عرض ومعالجة هذا النوع من الوصايا ، الوقوف قليلا عند لفظة الوزارة ، بمعنيها اللغوي والاصطلاحي ، وتحديد الزمن الذي استخدمت فيه بمعناها الاصطلاحي ، ويلزمنا أيضا التمييز بين وصايا الكتاب الذين يجمعون بين مهنة الكتابة والوزارة ، والتي تدور عادة حول توجيه النصح للقائمين على هذه المهنة ، في رسم الخلق السليم والتصرف الحكيم الذي يجب أن يتحلى به أصحاب هذه المهنة ، فهي اخلاق خاصة تجمع بين صفات العامة ، وصفات الخاصة ، فهم كما قال أحد المهالبة لبنيه (تزينوا بزي الكتاب ، فإنه فيهم ادب الملوك ، وتواضع السوقة (العقد الفريد ٤/١٧٩) . وبين وصايا الكتاب الخالصة التي تدور حول مهنة الكتابة من الناحية الفنية واللغوية ، وهذه الوصايا قد تكون متصلة بوصايا الكتاب في العصور السابقة كوصايا عبد الحميد الكاتب وغيرها من وصايا الكتاب المتقدمة .

فلفظة الوزارة معروفة عند العرب قبل الإسلام ، وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى على لسان موسى ﴿ **واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي . اشدد به أزري** ﴾ (٢٩ ك طه . ٢) . وقد وردت هذه اللفظة في قول النبي ﷺ « ما من رجل من المسلمين اعظم اجرا من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى » (أدب الوزير / ٣) ، وفي حديث السقيفة قال أبو بكر (رض) (نحن الأمراء وأنتم الوزراء) (البيان ٣/١٨١ . العقد الفريد ٢/١٧٥) .

وقد استخدمت هذه اللفظة في الدولة الأموية حيث يقول الطبري (إن زيادا كان يسمى وزير معاوية) . وبقيت هذه اللفظة فيما ذكرنا من مواضع غير

مستخدمة الإستخدام الاصطلاحي الذي نعرفه الآن من كلمة وزير . فاسم الوزارة يختلف في اشتقاقه على ثلاثة اوجه : أحدها أنه مأخوذ من الوزير وهو الثقل لأنه يحمل عن الملك أثقاله . والثاني مأخوذ من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى ﴿ كلا لا وزر ﴾ (١١ ك القيامة ٧٥) أي لا ملجأ فسمي بذلك لأن الملك يلجأ إليه في رأيه ومعونته، والثالث أنه مأخوذ من الأزر وهو الظهر، لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر . (الأحكام السلطانية الماوردي / ٢٤) . (تحفة الوزراء / ٣٩ ، ٥٧ . الوزراء . الجهشياري / ١ . مقدمة ابن خلدون ٤١٩ - ٤٢٥) .

فقد كان مفهوم منصب الوزير في الدولة الأموية هو مجرد كاتب كبير قربه الخليفة ، واعتمد عليه في المشورة والرأي في الكثير من عظائم الأمور . وعلى هذا المفهوم فمنصب الوزير لم يتحدد إلا في خلال الدولة العباسية . وقد أشار ابن طباطبا إلى ذلك في قوله (والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس . فأما قبل ذلك فلم تكن متقنة القواعد ، ولا مقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك اتباع وحاشية ، فإذا حدث أمر استشار بذوي الحجا والآراء الصائبة ، فكل منهم يجري مجرى الوزير ، فلما ملك بنو العباس ، تقررت قوانين الوزارة ، وسمي الوزير وزيرا ، وكان قبل ذلك يسمى كاتبا أو مشيرا) (الفخري / ١٥٣) فقد وضح منصب الوزارة في هذا العصر . ولم يكتف العرب باقتباس هذا المنصب من الفرس ، بل إنهم عهدوا به إلى الفرس أنفسهم لتوليه . وقد كان أبو سلمة الخلّال أول من وقع عليه لقب الوزير ، وشهر بالوزارة (وفيات الأعيان ١ / ٢٩٠ - ٢٩١) إلا أن سلطات الوزير لم تكن قد تحددت في تلك المرحلة بصورة واضحة إذ كانت وظيفة الوزراء الأول العباسيين كوظيفة الكتاب عند الأمويين ، وكان خلفاء بني العباس يتيمون في الوزارة من يجيد الكتابة (في التاريخ العباسي ١ /١٢٧) ولم تكن الوزارة في أيام المنصور طائلة لاستبداده واستغنائه برأيه وكفائته ، مع أنه كان يشاور في الأمور دائما (الفخري / ١٧٤) .

ولما استقرت الأمور في خلافة المهدي ، ظهرت أبهة الوزارة عندما أولى مهامها « معاوية بن يسار » الذي كان كاتبا للمهدي قبل توليه الخلافة ، وقد يكون السبب في عظم شأن هذه المهنة في عهد المهدي يعود إلى كفاءة معاوية ، وذلك كما ذكر ابن طبطبا عندما قال (فإنه جمع له حاصل المملكة ورتب الديوان ، وقرر القواعد ، وكان كاتب الدنيا ، وأوحد الناس حذقا وعلما وخبرة (الفخري / ١٨١) . فبذلك أصبحت الوزارة في عهد المهدي أكثر وضوحا عما كانت عليه سابقا ، وحين نصل إلى عهد الرشيد ، نجده يستوزر يحيى بن خالد ، ويمنحه سلطة تكاد تكون مطلقة ، ويطلق له اليد في تصريف الأمور وتدبيرها ، ويسند إليه بالإضافة إلى مهام الوزارة جميع الدواوين ما عدا ديوان الخاتم ، ثم ما لبث أن أسند إليه في سنة ١٧١ هـ ، وبذلك اجتمعت له الوزارتان فكان يحيى أول من أمر الوزراء (الطبري ٢٥٨/٨ ، الوزراء / ١٧٨) . وكان يحيى بليغا لبيبا أديبا سديد الرأي صائب الآراء حسن التدبير ، ضابطا لما تحت يده قويا على الأمور جوادا (الفخري / ١٩٨) ، ولعل من أقوى الأسباب التي دعت الرشيد إلى أن يوليه كل هذه المهام هو تأثيره - بما يملك من رأي سديد وخبرة - في الهادي عندما عزم على أن يخلع اخاه الرشيد من الخلافة ويبايع لابنه جعفر ، فقال له يحيى : « يا أمير المؤمنين إن فعلت حملت الناس على مثل ذلك » واعاد الهادي الأمر ثانية على يحيى فقال له : فدع هذا الأمر حتى تأتيه عفوا ، ولو لم يكن المهدي بايع لهارون لوجب أن تبايع أنت له لئلا تخرج الخلافة من بني ابيك) ، فصوب الهادي رأيه ، وكان الرشيد بعد ذلك يرى هذا من اعظم أيادي يحيى بن خالد عنده (الفخري ١٩٨ - ١٩٩) .

وقبل أن نستعرض وصايا العرب لوزرائهم وكتابهم في هذا العصر علينا أن نتعرف على اهتمام الأمم الأخرى بهذه المهنة ، ونقف أولا عند الأحكام السلطانية الفارسية والوصايا التي جاءت بها لأصحاب هذه المهنة وفي اختيار شخصياتها . والصفات والأخلاق التي يجب على الوزير التحلي بها . ومن وصايا الفرس في اختيار

الوزير وأهمية دوره في تنظيم الحكم قول بزرجمهر : (أحرص الملوك يحتاج إلى وزير ، وأشجع الناس يحتاج إلى سلاح ، ومثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسدا مثل الماء العذب فيه التماسيح) (تحفة الوزراء / ١٤٠) .

وكذلك قول ابرويز لابنه شيرويه في اختيار الوزير (ليكن ممن تختاره لوزارتك أمرا كان متضعا فرفعته ، وذا شرف كان مهتضما فاصطنعته ، ولا تجعله امرا أصبته بعقوبة فاتضع عنها ولا أمرا أطاعك بعدما أذللته ، ولا أحد يقع في خلده إن ازالة سلطانك خير له ، وادعى إلى ثبوته ، وإياك أن تستعمل ضدعا غمرا(١٠) ، ولا كبيرا مدبرا قد أخذ الدهر من عقله ، كما أخذت السن من جسمه) (الوزراء / ١٠ ، العقد ١ / ٢٧) .

ولادشير وصية لابنه رسم فيها الصورة المثالية لشخصية الوزير قال فيها (وزيرك يكون مقبول القول عندك ، قوي المنزلة لديك ، يمنعه مكانه منك ، وما يثق به منذ لطافة منزلته عندك من الخنوع لاحد ، أو الضراعة إلى أحد ، أو المداهنة لأحد في شيء مما تحت يديه ، لتبعثه الثقة بك في محض النصيحة لك ، والمنابذة لمن أراد غشك ، وانتقاصك حقك) (الوزراء / ٥ ـ ٦) .

ومن وصايا الفرس أيضا للملوك وولاة العهد في حسن اختيار الوزراء ، وحسن معاملته قول أحدهم لابنه (إنك لن تصل إلى احكام ما تريد من سياسة العباد ، وضبط البلاد ، إلا بمعونة الوزراء فاعنهم على طاعتك بحسن مباشرتك ، وجميل مكافأتك ، وعلى معونتك بمساعدتك لهم بما يغنيهم عن غيرك) (تحفة الوزراء / ٥٧) .

ونرى أن هذه الوصايا الفارسية قد جمعتها معان وموضوعات واحدة وهي الدعوة إلى حسن اختيار الوزراء بتحديد صفات واخلاق معينة بتوجيه على اصحاب هذه المهنة التحلي بها ، وكذلك الدعوة إلى حسن معاملة هؤلاء الوزراء والأعوان والحث على مكافأتهم وذلك حتى لا يدفعهم الحرمان من الرعاية وحسن

المكافأة إلى الالتجاء إلى جهة اخرى توفر لهم ما افتقدوه ممن عملوا معهم . ولعل في رد أبي العباس الطوسي على المنصور عندما أوصى بعض قواده بقوله : (جوع كلبك يتبعك) في قوله (أما تخشى يا أمير المؤمنين أن أجعته أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ، ويدعك) (عيون ١/٢٦) فأجابة الطوسي هذه تدل على حكمة في الحكم وحسن تدبر للأمور وخبرة ومعرفة بما قاله وأوصى به الأقدمون .

أما الوصايا التي قدمها الفرس إلى الوزراء أنفسهم والتي تحثهم وترشدهم إلى خير اعمالهم . فهي ماجاء منها في عهد اردشيرو التي يخاطب بها وزراءه بقوله : (أعلموا أن هممتم ألا تستعينوا إلا بمن تكاملت فيه الخصال الرضية واحرز المذاهب المحدودة فقد رمتم شيئا عسيرا غير موجود . . . واعلموا أن لكم اعمالا يكفيكموها من دونكم واعمالا يضطلع بها سواكم ، فاعرفوا حدود ذلك ولا تتكلفوا ما يكفيكموه من تحت ايديكم من تحت ايديكم ولا تكلفوا ما يجب عليكم النظر فيه سواكم ، فإن حدث لكم فراغ بعد قضائكم ما عليكم فاستعينوا بالتودع والراحة على ساعات الشغل) (عهد اردشير / ٧٠٩ - ١١٠ . الوزراء / ٧-٨) .

ومن وصاياابرويز لوزيره قوله : (أكتم السر ، وأصدق الحديث ، واجتهد في النصيحة ، واحترس بالحذر ، فعلى ألا أعجل عليك حتى استأني ، ولا أقبل عليك حتى استيقن ، ولا أطمع فيك فاغتالك) (الوزراء/٨ - ٩ . العقد ٤/٤٥ - ٤٦ جاءت مطولة وموجهة إلى الكاتب) فتوجس في هذه الوصية الحذر والريبة وقد يكون فيها عدم الثقة ، فما أن حث وزيره على كتمان السر والصدق بالحديث والاجتهاد في النصيحة ، حتى أخذ يحذره ويرهبه في العبارة الأخيرة من الوصية .

ومثل هذه الوصايا جاءت مما كتب اليونان على ألسنة حكمائهم وملوكهم منها ما قاله ارسطو للوزراء السبعة الذين انتخبهم الاسكندر ليصحبونه في سفره ويتكلفون مصالح امره : (إن الملك قد أشرككم في ملكه ، فاديموا النعمة عليكم

بنصحه ، وارفعوا دعائم الملك ، وثبتوا قواعده ، وحصنوه بالعدل ، وزينوه بالفضل ، واصلحوا الخلل قبل أن يعجزكم اصلاحه وانتهزوا الفرص قبل فواتها ، وكيفما كان فأنتم شركاء الملك ، فإن ربحتموه ربحتم ، وإن خسرتموه خسرتم ، فاعلموا لكم ولغيركم ، والله موفقكم) (تحفة الوزراء / ٥٨ ـ ٥٩) فهذه الوصية لاتختلف كثيرا عن غيرها من وصايا الوزراء سواء أكانت عند الفرس أو الهنود أو غيرهم من الأمم في الدعوة إلى الإخلاص في النصيحة ، والبذل في تثبيت دعائم الملك والسبب في ذلك يعود إلى أهمية هذه المهنة ودورها الخطير في تنظيم الحكم ومكانة صاحب هذه المهنة من بين اعوان الملك وحاشيته عند جميع الأمم .

وبعد أن استعرضنا هذه الوصايا عند الأمم الأخرى نقف قليلا عند وصايا العرب لوزرائهم في العصر العباسي الأول لنرى مدى التأثر بما جاءت به الآداب والأحكام السلطانية عند هذه الأمم . ومنها على سبيل المثال قول المأمون عند اختياره لأحد وزرائه (أني التمست لأموري رجلا جامعا لخصال الخير ذا لطف في خلائقه ، واستقامة طرائقه ، قد هذبته الآداب واحكمته التجارب . إن ائتمن على الأسرار كتمها ، وإن قلد مهمات الأمور نهض بها ، يسكنه الحلم ، وينطقه العلم ، تكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة . له صولة الأمراء ، وأناة الحكماء ، وتواضع العلماء وفهم الأدباء . يسترق قلوب الرجال بحلاوة حديثه ، ويعجز الفضلاء بفصاحة لسانة ، وحسن بيانه ويودع محبته القلوب بلطائف احسانه إن أحسن إليه شكر ، وإن ابتلى بالإساءة صبر وانتظر ، فهذا الذي يصلح أن تعقد به الأمور ، وتفوض إليه سياسة الجمهور) (الأحكام السلطانية / ٢٢ . وقد وردت في تحفة الوزراء / ٦٥ منسوبة إلى عمر بن مسعده)

والسير على منهاجها الذي رسمه المأمون بعباراته هذه . وهناك ايضا قول آخر لأبي زيد البلخي[١١] في صفة الوزير الكامل هو : (ينبغي أن يكون جامعا لخصال الخير ومحاسن الشيم تجتمع فيه البشاشة ، والوقار ، والحلم والهيبة ، والإقدام ، والثبات ليضع كل شيء في موضعه . هذا مع العفة والنزاهـة ، وعزة النفس ، والعلم بصناعة الكتابة ، وضوابطها وحسن العبارة والعلم بالسير والأخبار الماضية ، فإنها تفيد الاطلاع على التجارب ، والعوائد ، وليكن ذا هيبة جميلة ، وصورة مقبولة ، وإن كان قد بلغ أشده ، وبلغ الأربعين سنة ، كان أحمد وأوفق ، وأكثر حكمـة وتجربة) (تحفة الوزراء / ٦٢) .

ففي هذه الوصية أضاف أبو زيد البلخي جوانب أخرى في رسم شخصية الوزير لم ترد في قول المأمون ، منها : إتقان الكتابة والتفوق بها وهي المستلزمات الهامة للوزارة في ذلك العصر ، وأشار إلى الزي وحسن المظهر وأن يكون الوزير ذا هيبة ووقار . وأن لا يتولاها الرجل قبل سن الأربعين . وذلك لأنه العمر الذي يكتمل به نضج الرجل وتتم له الخبرة والحكمة والتجربة .

ونود الإشارة هنا إلى أن الكثير من المعاني التي تضمنتها وصايا الكتـاب صدرت بها وصايا الوزراء أيضا ، والسبب في ذلك هو أن اتقان الكتابة والإبداع فيها من الأمور التي ترفع من شأن صاحبها وتؤدي إلى ذيوع صيتـه وإشتهاره . فمكانة الكاتب في ذلك العصر لاتقل درجة عن مكانة الوزراء . وفي ذلك يقول المؤيد : (كتاب الملوك عيونهم الناظرة ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم الناطقة ، والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة ، وهي صناعة جليلة تحتاج إلى آلات كثيرة) ، وقال أيضا سهل بن هارون : (الكتابة أول زينة الدنيا التي إليها يتناهى الفضل وعندها تقف الرغبة) (العقد ٤ / ١٧٩) .

ولو استعرضنا أسماء اشهر وزراء بني العباس لوجدنا الغالب منهم كانوا كتابا في الدواوين ، كأبي عبيدالله معاوية بن يسار وزير المهدي الذي كان كاتبه ونائبه قبل

توليه الخلافة (الفخري / ١٨٢) ويحيى بن خالد البرمكي الذي كان كاتبا للرشيد ونائبا له قبل توليه الخلافة (الفخري / ١٩٨) وأحمد بن أبي خالد الأحول الذي كان كاتبا أيضا . وأراد الخليفة المأمون أن يوليه الوزارة فقال له : (اعفني يا أمير المؤمنين من التسمي بالوزارة ، وطالبني بالواجب فيها ، واجعل بيني وبين الناس منزلة ، يرجوني لها صديقي ويخافني لها عدوي ، فما بعد الغايات إلا الآفات) (الفخري / ٢٢٤) وكذلك أحمد بن يوسف وزير المأمون كان أيضا كاتبا فاضلا ، وأديبا شاعرا . بصيرا بأدوات الملك وآداب السلاطين (الفخري / ٢٢٥) . وكذلك الحال في باقي وزراء المأمون كثابت بن يحيى بن يسار الرازي الذي كان كاتبا حاذقا في الحساب ، ومحمد بن يزداد بن سويد الذي عمل كاتبا بالدواوين وهو صغير السن (الفخري / ٢٢٦ - ٢٢٧) .

فكانت الملوك والخلفاء تقدم الكتاب وتعرف فضل صناعتهم وكانوا يصفونهم بانهم : (نظام الأمور ، وكمال الملك ، وبهاء السلطان ، وهم الألسنة الناطقة عند الملوك ، وخزان اموالهم ، وامناؤهم على رعيتهم وبلادهم) (الوزراء / ٤) .

فإن هذا الإهتمام بالكتابة واعتبارها من المستلزمات الضرورية لمنصب الوزارة وصفة هامة في شخصية الوزير كان قد بدأ في نهاية الدولة الأموية وفي الفترة التي اصبح للكتاب الدور الخطير في الدواوين ، حتى استقر هذا الأمر واتضح في الدولة العباسية - كما بينا سابقا - وقد اهتم العرب بمظهر الوزير وزيه تأثرا بنظم الحاكم الفارسية وقد ظهر ذلك واضحا في وصاياهم لوزرائهم ، وذلك بالإضافة إلى الكثير من المعاني والموضوعات التي قد يعتقدان العرب قد اقتبسوها من وصايا الفرس لوزرائهم وولاتهم . وقبل أن نندفع إلى القول بهذا الرأي ونحاول تأكيده بحجة أن العرب لم يعرفوا هذا المنصب بمفهومه الاصطلاحي ، وإنما نقلوه عن الفرس علينا أن نتنبه إلى ماكان للعرب من موروث ثقافي وفكري لا يمكن إغفاله ولا

الإستغناء عنه . ولو ألقينا نظرة على وصية معاوية بن أبي سفيان إلى واليه زياد بن أبية التي يقول فيها (لتكن بيني وبينك في سياسة الرعية شعرة ممدودة . إن شددت طرفها ، فارخها ، وإن أرخيت طرفها فاشددها ، فأنا إن شددنا جميعا انقطعت) (العقد ١/١٠ . نهاية الأرب ٤٤/٦) ، فهذه الوصية تذكرنا بقول لافلاطون يدور في هذا الخصوص هو : (أول أدب الوزير ورياضته إن يتأمل اخلاق الملك ، فإن كانت شديدة . عامل الناس بلطف ولين جانب ، وإن كانت لينة عاملهم بقوة وصراحة مفرطة ، ليعتدل التدبير) (تحفة الوزراء / ٦٨) فافلاطون في وصيته أراد أن ينقل المنهج السليم في سياسة الرعية من قبل الملك ووزيره وهذا المنهج ذاته عناه معاوية في وصيته لزياد . ولايمكن القول بأن معاوية قد اطلع على قول افلاطون ـ السابق له ـ وتأثر به لأسباب عديدة أهمها أن العرب في ذلك العصر لم يتم لهم الإتصال المباشر بهذه الأمم .

فوصية معاوية تدل على حنكة سياسية وحسن تدبير في تصريف امور الحكم . مقرونا بدهاء وحلم اتصف بها معاوية في سياسة ، فهذه التجربة والخبرة وغيرها من تجارب العرب الأقدمين في سياسة الحكم التي جمعتها وصاياهم وأقوالهم المأثورة كانت المورد والمعين الذي ورد منه أهل هذا العصر في وصاياهم وتوجيهاتهم للوزراء وللقائمين على السلطة . مضاف إليه ما اقتبسوه وما تأثروا به من نظم الفرس ونظم غيرهم من الأمم الذي تهيأ للعرب في ذلك العصر الاتصال بهم والتعرف على مالديهم من قيم وعادات في جميع مجالات الحياة .

فهذه الوصايا التي مرت بنا والتي صدرت بتوجيهات ونصائح للوزراء والكتاب ، كان التركيز فيها على معالجة الجوانب السلوكية والتنظيمية لهذه المهنة (الوزارة) أما معالجة الجوانب اللغوية والأسلوبية للكتابة فقد عنيت بها وصايا أخرى كان التركيز فيها على هذه الجوانب وكانت خير مرجع وموجه للكتاب عامة ، ولعل أقدم الوصايا في هذا الجانب هي وصية عبد الحميد الكاتب للكتاب فعلى

الرغم من أنه قد تعرض فيها للجوانب السلوكية إلا أن التركيز في هذه الوصية على الجوانب الفنية واللغوية ، ولكل أداة من أدوات الكتابة التي تعين الكاتب وتدله على الأسلوب السليم لإتقان هذه المهنة . وما أن نصل إلى هذا العصر حتى نصادف العديد من هذه الوصايا التي تعني عناية خاصة بأمور الكتابة ، ومن هذه الوصايا وصية بشر بن المعتمر[١٢] ، ومنها أيضا الوصايا التي جاءت في « الرسالة العذراء (رسائل البلغاء / ١٧٦ . العقد ٢ / ١٧١) . لإبراهيم بن المدبر[١٣]، وهي رسالة حدد فيها للكاتب موازين البلاغة ، وأدوات الكتابة ، ففي الفقرة التي يقول فيها : (وأعلم أن الإكتساب بالتعلم والتكلف ، وطول الإختلاف إلى العلماء ، ودراسة كتب الحكماء . . .) ونسع في هذه الرسالة الأسس الأولية التي تمكن الكاتب من اتقان مهنته واعداد نفسه اعدادا سليما لها . وذلك في مدارسة رسالة المتقدمين ، ووسائل المتأخرين ، وقراءة اشعار وأخبار وأمثال العرب ، وسيرهم ونوادرهم ، وكذلك معاني العجم ومعرفة حدود المنطق ، والإطلاع على رسائل الفرس وأمثالهم وعهودهم وسيرهم . ثم حثه بعد ذلك على دراسة علم النحو التصريف، واللغة ، ثم دعا الكاتب بعدها إلى التزود بما جاء في القرآن الكريم ، واستيعاب معانيه حتى يمكنه ذلك من وضع الآيات في موضعها المناسب عند الكتابة ، وقبل أن يسترسل في توجيه الكاتب إلى العناية بالجوانب البلاغية واللغوية السليمة . نراه يقف قليلا عند مظهر الكاتب وزيه ، وذلك في قوله : (لأن الحكماء قد شرطوا في صفات الكتاب : أعتدال القامة وصغر الهامة ، وخفة اللهازم[١٤] وكثافة اللحية) ثم اكمل هذا الحديث بقوله (ومن كمال آلة الكتابة : أن يكون الكاتب بهي الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس . . . ولايكون فضفاض الجثة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة ، فإنهم زعموا أن هذه الصورة لايليق بصاحبها الذكاء والفطنة) . ثم أراد بعد ذلك أن يحدد للكاتب طبقات الكلام والتي هي على قدر طبقات الناس . إذ أنه لايجوز مخاطبة أي امريء

في أي طبقة إلا على حسب قدره وموضعه ، وحظه وعنائه وجزائه ، واضطلاعه بما حمل من أعباء الأمور ، وجلائل الأعمال . فقسم الناس في وصيته هذه إلى ثمانية أقسام . وجعل أربعة للطبقة العلوية ـ على حسب تسميته هذه ـ وأربعة للتي دونها ، وجعل لكل طبقة ما يناسبها من الألفاظ والمعاني ، والتي لا يقصر بأهلها عنها ، ويقلب معناها إلى غيرها .

فجعل أعلى طبقة هي طبقة الخلافة ، في قوله : (فالطبقة العليا : الخلافة التي أجل الله قدرها ، وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من ابناء الدنيا في التعظيم ، والتوقير والمخاطبة والترسل . والطبقة الثانية : الوزراء والكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ويرتقون الفتوق بآرائهم ، ويتجملون بآدابهم . والطبقة الثالثة : أمراء ثغورهم وقواد جيوشهم . . . والطبقة الرابعة : القضاة ، فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فمعهم أبهة السلطنة ، وهيبة الأمراء) . ثم حدد له بعد ذلك الطبقات الأربع الأخرى في قوله : (فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها . والثانية : وزراؤهم وكتابهم واتباعهم الذين بهم تقرع ابوابهم ، وبعنايتهم تستماح[١٥] أموالهم . والثالثة : هم العلماء الذين يجب توقيرهم في الكتب ، لشرف العلم وعلو درجة أهله . والرابعة : أهل القدر والجلالة والظرف والحلاوة والطلاوة[١٦] والعلم والأدب ، فإنهم يضطرونك بحدة اذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم) .

وأراد الإستغناء عن جماعة التجار والسوقة والعوام ، لاستغنائهم بتجارتهم عن هذه الآلات واشتغالهم بمهماتهم عن هذه الأدوات . ثم انتقل بعد ذلك إلى تحديد المعاني والألفاظ الخاصة بكل طبقة ، إذ أن لكل طبقة مذهباً خاصاً في الكتابة يجب على الكاتب مراعاته في مراسلته إياهم . فنراه مثلا قد أشار في موضع سابق

من هذه الرسالة إلى أن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء والجلة والرؤساء عيب واستهجان للكتب ، إلا أن يكون الكاتب هو القارض للشعر والصانع له ، فإنه في ذلك مما يزيد في ابهة الكاتب ، ويدل على براعة الكاتب فهو قد جعل لكل مخاطب في كتاب قدراً ووزناً ، لا يجوز للكاتب أن يتجاوزه ، ولا يقصر به دونه ، وقد أوضح ذلك بقوله : (وتعلم أن الكيس هو العقل إذ عنوا به ضد الحمق ، ولكنك لو وصفت رجلا فقلت له : إن فلاناً لعاقل كنت قد مدحته عند الناس ، ولو قلت « إنه كيس » ، كنت قد قصرت به عن وصفه ، وصغرت من قدره ، إلا عند أهل العلم باللغة ، لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلم إلا إلى حيث جرت منها العادة في استعمالها في الظاهر ، إذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة مع الحداثة والغرة ، وخساسة النفس وصغر السن .)

ولكي يعطي ابراهيم بن المدبر الصورة المثالية للكتابة ، فهو يسترسل في إصدار الوصايا للكاتب التي تعينه وتوجهه إلى اتقان جميع أدوات الكتابة (اللغوية والبلاغية) ، فلذلك نجد هذه الوصايا تستغرق معظم هذه الرسالة وقد نلمح في بعض وصاياه هذه قريب شبه مع ما جاء في وصيه بشر بن المعتمر ومع ماجاءت به كتب الجاحظ ورسائله في هذا الخصوص . فهو عندما قال : (وارتض لكتابك فراغ قلبك ، وساعة نشاطك ، فتجد ما يمتنع عليك بالكد والتكلف ، لأن سماحة النفس بمكنونها ، وجود الأذهان بمخزونها) فهو لا يبتعد كثيرا عما جاء في قول بشر في وصيته المشهورة (خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك ، واجابتها في الاسماع ، وأحلى في الصدور ، واسلم من فاحش الخطأ) (البيان ١ / ١٣٥) . وفي وصيته للكاتب بأنه إذا تهيأ له أن ينظم الشعر ، أو يؤلف الكلام المنثور فلا يدفعه الغرور والثقة بالنفس إلى نشره على أهل الصناعة قبل عرضه على البلغاء والخطباء (فإنك تنظر إلى تأليفك بعين الوالد لولده ، والعاشق إلى عشيقه . . . ولكن اعرضه على البلغاء والشعراء والخطباء ممزوجا بغيره ، فإن أصغوا إليه ، وأذنوا له ، وشخصوا بالأبصار ، واستعادوه وطلبوه منك ، فاكشف من تلك

الرسالة والخطبة والشعر إسمه ، وانسبه إلى نفسك) .

فلا نرى في قوله هذا وجه اختلاف عن وصية الجاحظ في هذا الباب عندما قال : (فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة ، وتنسب إلى هذا الأدب ، فقرضت قصيدة ، أو حبرت خطبة ، أو ألفت رسالة ، فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك ، أن يدعوك عجبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحله وتدعيه ، ولكن أعرضه على العلماء في عرض رسائل أو إشعار أو خطب ، فإن رأيت الأسماع تصغي له ، والعيون تحدج إليه ، ورأيت من يطلبه ويستحسنه ، فانتحله ، فإن كان ذلك في ابتداء امرك ، وفي أول تكلفك فلم تر له طالبا ولا مستحسنا ، فلعله أن يكون مادام ريضا قضيبا(١٧) أن يحل عندهم محل المتروك ، فإذا عاودت أمثال ذلك مرارا ، فوجدت الأسماع عنه منصرفة ، والقلوب لاهية ، فخذ في غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه ، أو زهدهم فيه) (البيان ١/٢٠٣) .

فالجاحظ عندما أوصى المبتديء في الكتابة والأدب بالعناية بهذا الجانب المهم من جوانب الكتابة ، كان صادقا في وصيته هذه ، فقد صدرت من إنسان عالم خبير بهذه المهنة ، مطلعا على خفاياها ، ملم بجميع أدواتها وآلاتها . لطول المعاشرة لها . إذ قضى السنوات الطويلة من حياته عاملا بالكتابة والأدب . والجاحظ نفسه سار على هذا المنهج الذي حث الكتاب والأدباء على اتباعه والسير عليه . إذ كان لا يعلن عن اسمه في كتبه ومؤلفاته عندما كان في بداية عهده بالتأليف ، وإنما كان ينسبها إلى المشهورين من الكتاب في عصره (التنبيه والإشراف / ٧٦) وبقي على هذا الحال حتى رأى إقبال الناس عليها ، واستحسانهم لها ، فاعلن عن نفسه ونسبها إليه .

فابراهيم بن المدبر الذي أوصى الكاتب بمراجعة رسائل القدماء ورسائل المحدثين لابد أن يكون هو نفسه قد اطلع على هذه الرسائل وتأثر بما جاء فيها . وهو في مواقف عديدة من هذه الرسالة ينقل أقوال الكثير من علماء اللغة واقوال الأدباء ،

وأقوال الفرس واليونان والرومان في وصف أدوات الكتابة والبلاغة وذلك في قوله : (وإنما اختلف في كيفية البلاغة وماهيتها وقد مدحها كل قوم بأوضح عباراتهم ، وأحسن بيانهم ، فقال صاحب اليونانين : « البلاغة تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام » ، وقال الرومي : « البلاغة وضوح الدلالة ، وإنتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة » ، وقال الفارسي : « هي معرفة الفصل من الوصل » ، وقال الهندي : « هي البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة » . . وقال انوشروان لبزرجمهر : متى يكون العي بليغا . قال : إذا وصف بليغا . وقال ارسطوطاليس : « البلاغة حسن الإستعارة .) ، وقد نقل أقوالاً للجاحظ وللعتابي ولعمر بن عبد العزيز ولخالد بن صفوان وغيرهم من الأدباء في معرفة البلاغة وإتقان اللغة وسلامة التعبير في الكتابة في مواضع مختلفة من هذه الرسالة .

وابراهيم بن المدبر أعد هذه الرسالة أيضا اعدادا نشد به تحقيق البلاغة التامة في سلامة العبارة وصحتها ، ووضوح المعنى وشرفه في اختيار ما يناسبه من الألفاظ ، وكان في هذا الإعداد بعيدا عن التكلف في استخدام الزينة اللفظية والزخرف البديعي ، الذي تعمده كتاب الفترة المتأخرة من هذا العصر ، فإن كانت هذه الرسالة قد قدمت العديد من الوصايا والتوجيهات التي عالجت مختلف الأدوات الخاصة بالكتابة ، ووضعت الأسس السليمة والمناسبة لها حيث أن صاحبها لم يترك الحديث عن القلم والورق والمبراة والمحبرة وغيرها من الأدوات اللازمة في الكتابة . فإن هناك بعض الوصايا القصيرة التي صدرت من بعض الشخصيات وعالجت خاصية واحدة من خواص الكتابة تنبه لها خليفة أو وزير فوجه كاتبه الى ملاحظتها والاعتناء بها ، وذلك كقول جعفر بن يحيى لكتابه يوصيهم : (إن استطعتم أن يكون كلامكم كله من التوقيع فافعلوا) . (البيان ١/١١٥) . أراد جعفر في هذه الوصية أن يحث الكتاب إلى الإهتمام بالايجاز الدقيق ، والوضوح البالغ في الكتابة .

ولجعفر أيضا رسالة (العقد ٤/١٩٥) بعث بها إلى كاتبه محمد بن الليث - وهو من الكتاب المبدعين في عهد الرشيد ، كان بليغا مترسلا كاتبا فقيها بارعا (الفهرس / ١٧٥) ومن أبرز ما أثر عنه رسالته التي كتبها للرشيد إلى قسطنطين السادس امبراطور بيزنطة (جمهرة رسائل العرب ٢٥٢/٣) بث جعفر في هذه الرسالة وصاياه لمحمد في اختيار الاقلام ، وطريقة سنها ، ومدى أهمية هذا الأمر في كتابة الحروف ، ثم العناية بمدات كل حرف ومطاته العليا والسفلى . وأن تكون السطور منتظمة متناسقة وأن يتم قطع القراطيس بدقة وانتظام .

ووصية المأمون لكاتب في قوله : (اياكم والشونيز في كتبكم - يعني النقط والاعجام) (العقد ٤/١٧٣) فقد كان لا يحبذ النقط والشكل في الكتابة إلا أن يمر الكاتب بالحرف المعضل ، بحيث أن المكتوب إليه يعجز عن فهمه واستخراجه .

وكذلك قول ذي الرئاستين في وصيته للكتاب (قاربوا بين الحروف لئلا يسافر البصر سفرا بعيدا في حروف قليلة) (الوزراء / ٣٠٦) فوصيته هذه تهتم بالشكل وبتنسيق الكتابة ، فلا تتباعد الحروف في الكلمة الواحدة ، فيضطرب نظر القاريء لها .

وبهذه الوصية وغيرها من الوصايا في هذا الباب تطور الخط العربي تطورا خطيرا ، ولابد أن يصاحب هذا التطور ، تطور ورقي في الألفاظ والمعاني والأساليب .

فبالإضافة إلى هذه الرسائل والمكاتبات التي صدرت بالعديد من الوصايا إلى الكتاب في تحسين صناعة الكتابة ، فإن هناك مجموعة من الكتب ، وضعت في ذلك العصر لتحقيق نفس الغاية . ومن أشهر هذه المؤلفات كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة الذي أشار في مقدمته ، بأنه وضع هذا الكتاب ، لأنه وجد الكتاب ينظرون في الفلك والنجوم ، وفي الفلسفة والمنطق ، وأهملوا اللغة وما اتصل بها ، فوضع لهم هذا الكتاب ، ليبحث فيما يلزم الكاتب من لغة ونحو وصرف واملاء . ثم جاء

من بعده الصولي بكتابه (أدب الكتاب) وأشار إشارة خفية إلى إهمال ابن قتيبة في كتابه لأمور لازمة في الكتابة ، توسع فيها ، وتحدث عنها ، مثل الخط والدواة والقلم ، وترتيب الكتاب وطيه . أما ابن درستويه فقد وضع كتابه (الكتاب) وكان اكثر ما تحدث فيه عن قواعد الإملاء ، وفي آخره باب في افتتاح الكتاب .

فإن كان الرأي عند هذه المجموعة من الكتاب في نجاح الكاتب واحسانه في الكتابة ، هو اتقانه للمواد اللغوية والأسلوبية بالإضافة إلى احسانه في استخدام القلم والخط ، فإن الرأي الاخر عند غيرهم من الكتاب يرى نجاح الكاتب في تعرفه على جميع معارف عصره وعلومه . وممن يمثل هذا الرأي القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) فقد تعرض في هذا الكتاب لكل المعلومات البشرية في عصره ، من تاريخ وجغرافيا وفلك ، مضافا إليها صناعة الخط ونحوه ، ولم يكتف بذلك بل أشار إلى مصطلح المكاتبات ، وكيفية العقود والبريد وغيرها .

فتبين لنا فيما جاء في هذه المؤلفات والوصايا - التي مر ذكرها - من توجيهات للكتاب ان نجاح الكاتب ليس امرا يسيرا هينا ، بل أنه امر يحتاج الى جهد ودراسة لإتقان هذه الصناعة والتمكن منها ، وهو ليس إتقانا لأدوات اللغة والبلاغة وحسب ، وإنما يجب على الكاتب أن يلم بطائفة من المعارف والعلوم المختلفة في عصره ، وقبل عصره .

٣ ـ وصايا عامة في الصداقة والإخوان : ـ

يتوجه هذا النوع من الوصايا بالحديث عن جانب من الجوانب الخلقية التي تحدد علاقة الإنسان بمجتمعه ، ورشده إلى صلاح معاشه في نفسه وفي علاقاته بافراد مجتمعه وأصدقائه منهم .

وإن كنا قد صادفنا في بعض وصايا حكماء الجاهلية (لأبنائهم أو لبني قومهم) أو في بعض أشعار الشعراء العبارات أو الأبيات التي تتحدث عن هذا الجانب ، فإن هذا الحديث لا يستغرق الوصية أو القصيدة بكاملها ، فهو لا يتعدى البيت أو البيتين من الشعر . لكن ما أن نتقدم قليلا فنصل إلى هذا العصر حتى يصبح هذا الموضوع من الموضوعات البارزة في الأدب العربي . ويعود ذلك إلى اتصال العرب بالأمم الأخرى وإلى ازدهار حركة النقل والترجمة إلى العربية ، وقد كان لإتصال العرب بالفرس أبعد الأثر في ذلك ، فالحديث عن الصداقة والصديق من الموضوعات المتميزة في الأدب الفارسي . ولعل الفضل في نقل التراث الفارسي يعود للفرس الذين حذقوا العربية وتثقفوا بالثقافتين (العربية والفارسية) ولعمق الفرس بالحضارة ولأنهم مرنوا التأليف من قديم بلغتهم (الفارسية) فلما دخلوا الإسلام تعلموا العربية وتثقفوا بها فأصبح التأليف سهلا يسيرا . فأنتجوا بعد ذلك بالعربية نتاجا راقيا جيدا . وفي مقدمة هؤلاء ابن المقفع الذي قام بنقل مجموعة من الكتب الفارسية إلى العربية ـ كما ذكرنا في موضع آخر من هذه الدراسة . وقد وضع رسائله كالأدب الكبير والأدب الصغير ورسالة الصحابة والدرة اليتيمة ، فإن لم يكن النقل حرفيا في هذه الرسائل ، فإنه نقل الفكر الفارسي والأدب الفارسي بلغته وعبارته الخاصة التي تميز بها .

فقد نقل ابن المقفع الكثير من وصايا الفرس الخلقية والإجتماعية وبثها في كتبه ورسائله ، ومنها قوله : (ابذل لصديقك دمك ومالـك ، ولمعرفتـك رفدك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحننك ، ولعدوك عدلك وانصافك ، واضنن بدينك وعرضك على كل احد) (الأدب الكبير ص ٦٥) ومنها أيضا قوله : (اجعل غاية تشبثك في مؤاخاة من تؤاخي ومواصلة من تواصل ، توطين نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطعية اخيك ، وأن ظهر لك منه ما تكره ، فإنه ليس كالمملوك تعتقه متى شئت أو كالمرأة التي تطلقها إذا شئت ، ولكنه عرضك ومروءتك . فإنما مروءة الرجل اخوانه واخدانه . . .) (الأدب الصغير ٧٤ ـ ٧٥) .

فإبن المقفع يطلب من الصديق في العبارة الأولى (ابذل لصديقك دمك ومالك) أن يبذل أغلى مافي حياة الإنسان وهما الدم والمال إخلاصا وتفانيا للصديق وقد جعل الدم أولا ، وهذا يمثل منتهى الإخلاص والتضحية في علاقة الصديق بصديقه . وقد يتساءل السائل : هل ابن المقفع يتصف بهذه الصفة ؟ أم هو قول قاله ! الحقيقة أن ماقاله ابن المقفع في الصداقة فعله . ويؤكد ذلك خبره عندما أراد أن يفتدي صديقه عبد الحميد الكاتب بنفسه . فقد جاء جند العباسيين في طلب عبد الحميد وكان مختبئا عنده وسألوا : أيكما عبد الحميد ؟ فاجاب كل منهما : أنا . خوفا من أن ينال صاحبه بمكروه ، وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع ، فقال : ترفقوا فإن فيّ علامات ، ووكلوا بنا بعضكم ويمضي بعض يذكر تلك العلامات لمن وجه بكم ففعل ذلك ، وأخذ عبد الحميد . (الوزراء : ٨٠) .

وتظهر في وصايا ابن المقفع السهولة والوضوح مع بلوغه الجزالة والرصانة وكان من أهم ما يميز عباراته هو وصوله إلى المعنى المقصود بأقل الألفاظ مع جمال العبارة ودقتها ، وقد لا نلمح الاغراق في السجع أو الترادف الصوتي كالذي نصادفه في عبارات عبد الحميد الكاتب ، ولعل السبب في ذلك هو رغبته في تحقيق الدقة في كل ما ينقله من تراث أمته إلى العربية . وإن كانت عباراته تخلو من الزينة اللفظية فإنها لا تفتقد التنسق .

ولم يكن الحديث في هذه المعاني وقفا على النثر فقط . فقد أورد الشعراء الكثير منها في أشعارهم ، وفي مقدمة هؤلاء الشعراء (بشار بن برد) المتوفي سنة ١٦٨ هـ الشاعر الفارسي الذي اتقن العربية اتقانا تاما بعد أن رحل إلى البادية وأقام فيها فترة تعينه على حفظ الكثير من اشعار العرب واراجيزهم . ولعل ما دار بينه وبين رؤبة بن العجاج في مجلس عقبة بن سلم (الاغاني ـ ٣ : ١٦٨ ـ ١٦٩) ما يؤكد على فصاحة لسانه وقوة بيانه واتقانه للنظم بما يتفق وأصول الشعر القديم . فقد نظم قصيدة المدح وضمنها نظرات في الصداقة والإخوان ، وذلك في قصيدته التي قالها في يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري في قتاله مع الضحاك (فقيه الخوارج) وكان بشار ينتمي بالولاء إلى عُقَيْل وعقيل وفزارة من قيس عيلان وقد انتصر فيها ابن هبيرة وقتل الضحاك ، وهي : ـ

إذا كنت في كل الأمور معاتبا   صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه   مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى   ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

(الديوان حـ ١ ص ٣٩٠)

وفي القرن الثالث عندما تزدهر حركة التأليف والكتابة يصبح لهذا الموضوع ـ الصداقة ـ المكانة البارزة في الكتابة العربية حيث تكاد لا تخلو منه رسائل الأدباء وكتبهم وكذلك دواوين الشعراء . فنجد أغلب الكتاب يفردون الأبواب الخاصة للحديث عن الصداقة والإخوان كابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار) ، ويأتي بعده ابن عبد ربه في (العقد الفريد) . وقد سبقهما الجاحظ إلى ذلك فأورد العديد من هذه الوصايا في كيفية اختيار الصديق والحفاظ على الصداقة وديمومتها . وكانت أوضح هذه المعاني هي التي أوردها في رسالته (المعاش والمعاد) والتي قدمها لأحمد بن أبي دؤاد ، وقد نرى في هذه الرسالة قريب شبه من رسالة (الصحابة) لابن المقفع التي قدمها إلى الخليفة المنصور ، فإن كانت هذه الرسالة قدمت لاخطر

الشخصيات وابرزها في الخلافة العباسية ، فإن رسالة (المعاش) قدمت لابرز الشخصيات العربية وأخطرها في الوزارة العباسية في ذلك العصر . وفي هذه الرسالة الكثير من الوصايا التي تعين على صقل النفس وتجليه بصائرها ، وتوجيهها إلى مكارم الأخلاق ومحامدها . أما وصاياه في الصداقة فهي قوله : (فلا تكونن لشيء مما في يدك أشد ضنّا ، ولا عليه أشد حدبا ، منك بالأخ الذي قد بلوته في السّراء والضرّاء ، فعرفت مذاهبه وخبرت شيمه ، وصحّ لك غيبه ، وسلمت لك ناحيته ، فإنما هو شقيق روحك ، وباب الرّوح إلى حياتك ، ومستمد رأيك ونوأم عقلك ، ولست منتفعا بعيش مع الوحدة . فإن صفا لك أخ فكن به أشد ضنا منك بنفائس اموالك ، ثم لا يزهدنك فيه أن ترى منه خلقا أو خلقين تكرههما ، فإن نفسك التي هي أخص النفوس بك لا تعطيك المقادة في كل ما تريد ، فكيف بنفس غيرك !) وقوله أيضا في فقرة أخرى من هذه الرسالة (ثم لا يمنعك ذلك من كثرة الأصدقاء ، فإنهم جند معدون لك ينشرون محاسنك ، ويحاجون عنك ، ولا يحملنك استطراف صديق ثان على ملالة للصديق الأول ، فإن ذلك سبيل أهل الجهالة ، ومع مافيها من الدناءة وسوء التدبير ، وزهد الاصدقاء جميعا في اخائك . والله يوفقك) ويقول أيضا (واعلم أن كثرة العتاب سبب للقطيعة ، واطراحه كله دليل على قلة الاكتراث لأمر الصديق . فكن فيه بين أمرين : عاتبه فيما تشتركان في نفعه وضره وذلك في البينات ، وتجاف له عن بعض غفلاته تسلم لك ناحيته . وبحسب ذلك فكن في زيارته ، فإن الالحاح في الزيارة يذهب بالبهاء ، وربما أورث الملالة ، وطول الهجران يعقب الجفوة ، ويحل عقدة الاخاء) - (رسائل الجاحظ ١ : ١٢٢ - ١٥٣) .

ففي هذه الوصايا نقف أمام كاتب من أشهر كتاب العصر ، وهو من القلائل الذين كان لهم الأثر الكبير في ألوان مختلفة من المعرفة والأدب . فأثره في الأدب ، وفي الكلام ، وفي الاجتماع ، وفي الدين ، وفي الطبيعيات .

فهو في الأدب مطلع على الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي وشعر المحدثين ، ومطلع أيضا على اخبار العرب وايامهم وخطبهم وحكمهم وأمثالهم . وفي علوم الدين هوعالم غزير المعرفة في علوم القرآن والحديث وفي المذاهب الكلامية ، ولم يكن اطلاعه واتقانه للثقافة العربية الإسلامية فقط ، بل تعداه إلى الثقافات الأجنبية التي نقلت في ذلك العصر إلى العربية ، فهو مطلع على الثقافة اليونانية دارس لها دراسة دقيقة ، أدت به إلى التأثر الواضح بأشهر فلاسفة اليونان (أرسطو) ونجده يشير إليه في مواضع كثيرة في كتابه الحيوان ، ومن مظاهر هذا التأثر استخدامه لأسلوب الجدل والمناقشة ليس في الكلام فحسب ، بل في جميع كتبه ورسائله . وكذلك نقله الكثير من آراء الفلاسفة والمناطقة اليونان ومناقشتها مناقشة تدل على اتقان وفهم حقيقيين لما ينقله من كتبهم .

أما أهم ما يميز لغته وألفاظه فهو عنايته الفائقة في انتقاء الكلمات وملاءمتها للمعاني بحيث يضع كل لفظة موضعها من الكلام ومن المعنى الذي تؤديه ، وهو يؤكد على ذلك ويدعو له في كتبه كقوله : (التلاءم التلاءم ، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال) ويقول أيضا (وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا ولا ساقطا وسوقيا ، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا اعرابيا ، فإن الوحشي من الكلام يفهم الوحشي من الناس ، كما يفهم السوقي رطانة السوقي) فهو يريد أن يكون الكلام وسطا بين لغة العامة ولغة الخاصة .

والخاصة الثانية في أسلوبه هي أنه يقسم عباراته تقسيما صوتيا جميلا وهذه التقسيمات أدت إلى نوع من التكرار الموسيقي ، وهو ما يسمى بالازدواج ، وهو التوازن الدقيق بين عباراته توازنا منسجما منظماً بعيد كل البعد عن السجع .

وإن كانت هذه الوصايا الموجزة المختصرة تنقل لنا ملمحا بسيطا من ملامح الكتابة عند الجاحظ ، فإن كتبه وجميع مؤلفاته تنقل الصورة الواضحة لهذه الخصائص . فنجدها تتكرر في كتابه (الحيوان) ، وفي (البيان والتبين) ، وفي

(البخلاء) ، وفي جميع رسائله التي انشأها .

ولم يكن الحديث عن هذا الجانب من العلاقات الإنسانية وقفا على مؤلفات هؤلاء الكتاب فقط ، بل ورد أيضا في وصايا بعض الخلفاء والأمراء لأبنائهم ، فعند المراجعة لما مر من وصايا الخلفاء والأمراء لابنائهم نلحظ في وصية الخليفة المأمون لابنائه أنه يقف قليلا عند هذا الجانب ليرشد ابناءه ويبصرهم بتنوع الاخوان والاصحاب ، وقد قسمهم في قوله إلى ثلاثة أقسام : -

(الاخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه ، وطبقة كالدواء لا يحتاج إليه أحيانا ، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبدا) - (خلاصة الذهب المسبوك : ١٣٩ ، عيون الاخبار ٣ : ٢ ، محاضرات الادباء : ٢٤١ - ٢٤٢) .

وللصديق عند المأمون مكانة يدل عليها قوله عندما سمع أبا العتاهية ينشد هذا البيت :

وإني لمحتاج إلى ظل صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

فقال المأمون : خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب (محاضرات الادباء ص ٢٥٠) .

٤ ــ وصايا الحكماء والوعاظ والنساك والأدباء إلى الخلفاء :

لقد تحدثنا في مدخل هذه الدراسة عن تأثر الآداب العربية (والوصايا منها) بالآداب الأجنبية بعد إزدهار حركة النقل والترجمة . وخصوصا من الحكم الهندية التي اشتهرت بها آداب هذه الأمة ، ولاسيما عن القصص الهندية (كليلة ودمنة) ـ التي ترجمها ابن المقفع من الفارسية ـ إلى العربية ، وكذلك الآداب الفارسية ، وخاصة في وصايا الملوك والحكام التي عنيت بها عناية خاصة ، ونجد هذه الوصايا مبثوثة في الكتب التي ترجمها ابن المقفع إلى العربية ، وكذلك في الكتب التي وضعها وكان متأثرا فيها بالآداب الفارسية ، فهي في مجملها ضروب من الحكمة والأمثال والكلام عن الأخلاق والسياسة وأبرزها في هذا المجال (رسالة الصحابة) التي قصد بها صحابة السلطان ، نجد فيها ابن المقفع يقدم الوصايا إلى الخليفة المنصور ليوجهه إلى جانب مهم وخطير وهو جانب اصلاح نظام الحكم في ذلك العهد .

وقد افتتح هذه الرسالة بمقدمة استغرقت منه ثلاث صفحات ، وكأنه بهذه المقدمة يطلب الاستئذان والسماح له ـ وهو كاتب بسيط الشأن في هذه الدولة الجديدة ـ بتقديم النصح والتوجيه إلى أخطر رجل فيها .

ثم بعد هذه المقدمة عرض للجند وأراده أن يختارهم من أهل خراسان ، وذكر له محاسنهم وفضلهم على غيرهم ، من الأجناس الأخرى ، فإن ولاءه لأهله ولبني جنسه دفعه إلى توصية المنصور بهم خيرا . وهذا يتضح في قوله : (فمن الأمور التي يذكر بها أمير المؤمنين ـ أمتع الله به ـ أمر هذا الجند من أهل خراسان ، فإنهم جند لم يدرك مثلهم في الإسلام ، ومنهم منعة بها يتم فضلهم إن شاء الله ، فأما هم فأهل بصر بالطاعة ، وفضل عند الناس ، وعفاف نفوس وفروج ، وكف

عن الفساد ، وذل للولاة ، فهذه حال لا نعلمها توجد عند أحد غيرهم .) (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ / ٣٨٣) .

ثم تحدث بعد ذلك عن الخراج ، وأنه لا يصلح أن يتولى امره أحد من أهل الجند (ومما ينظر فيه لصلاح أهل الجند ألا يولي احدا منهم شيئا من الخراج ، فإن ولاة الخراج مفسدة للمقاتلة) فقد يكون ابن المقفع نقل ما أوصى به اردشير ابنه والذي يقول فيه (ولا تولين أحدا من قادة جندك ، الذي اتخذتهم عدة للحرب وجنة من الأعداء خراجا) (الوزراء ٦-٧) . وقد انتقد الخراج والوضع الذي هو عليه في ذلك العصر ، ودعاهم إلى التدقيق في اختيار الشخصيات للقيام بهذا الأمر وطلب التشديد والرقابة عليهم .

ثم تحدث بعد ذلك عن صحبة السلطان في قوله : (ومما يذكر به أمير المؤمنين أمر الصحابة ، فإن من أولى أمر الوالي منه بالتثبت والتخير ، أمر اصحابه الذين هم بهاء فنائه ، وزينة مجلسه ، وألسنة رعيته ، والأعوان على رأيه ، ومواضع كرامته ، والخاصة من عامته) . فمن هذه الفقرة يتضح تأثر ابن المقفع بالوصايا الفارسية للحاكم ومعانيها ،ولعل أهم مصادره كتاب كليلة ودمنة ، لكن هذا التأثر لم يمنعه من أن يضمن رسالته معاني القرآن الكريم وبعض آياته وذلك في الآية (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) (١٠١ ك يوسف ١٢) .

وكذلك ضمنها ابيانا من الشعر العربي القديم ، وهي قول الشاعر : -

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقول الشاعر : -

هم سوّدوا نصرا، وكل قبيلة يبيّن عن احلامها من يسودها

فلعله يسعى في ذلك إلى ترغيب الخليفة المنصور بهذه الرسالة والإقبال على قراءتها ، وأخذ ما بها من وصايا وعبر .

وهذه الوصية تعرفنا على جانب آخر في أسلوب ابن المقفع ، وهو أنه يتخذ أسلوبا جديدا في الكتابة يعتمد على التوسط بين لغة الخاصة وما يكون فيها من تعقيد أو اغراب أو استغراق في استخدام السجع وألوان الزينة اللفظية ، ولغة العامة وما يكون فيها من ابتذال ، فاسلوبه واضح ، ولغته عذبة ، بعيدة عن الحوشي والأغراب ، وهو يؤكد على هذا الأسلوب في وصاياه إلى الكتاب إذ يقول : (عليك بما سهل من الألفاظ ، مع التجنب لألفاظ السلفة) وعندما سئل ما البلاغة ؟ يقول عبارته المشهورة التي تناقلتها كتب الأدب ، وهي : (أي البلاغة) : (التي إذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها) (امالي المرتضى ١٣٦/١) .

وابن المقفع لم يكتف بهذه الرسالة لتوجيه وصاياه إلى الخليفة المنصور أوإلى الحكام كافة ، بل كان له الكثير من هذه الوصايا في رسائله الأخرى كالأدب الكبير والأدب الصغير ، والأدب الكبير يدور حول موضوعين الأول : يتوجه بوصاياه إلى السلطان ، ويتحدث عما يتصل بالسياسة والحكم وتدبير امور الرعية . والثاني في الصداقة والصديق . وفي الأول يقول للسلطان (اعلم أن من الناس ناسا كثيرا يبلغ من احدهم الغضب إذا غضب أن يحمله ذلك على الكلوح والقطوب في وجه غير من أغضبه ، وسوء اللفظ لمن لا ذنب له ، والعقوبة لمن لم يكن يهم بمعاقبته ، وشدة المعاقبة باللسان واليد لمن لم يكن يريد به إلا دون ذلك ، ثم يبلغ به الرضى ، إذا رضي ، أن يتبرع بالأمر ذي الخطر ليس بمنزلة ذلك عنده ويعطي من لم يكن يريد اعطاءه ، ويكرم من لم يرد اكرامه ولاحق له ولا مودة عنده) حتى يقول : (احذر هذا الباب الحذر كله ! فإنه ليس احد أسوأ فيه حالاً من اهل السلطان الذين يفرطون باقتدارهم في غضبهم ، وبتسرعهم في رضاهم) (الأدب الكبير / ٢٢ - ٢٣) ثم يسترسل ابن المقفع في ذكر المحاذير للسلطان بأن لا يغضب او يكذب أو ان يكون بخيلا أو حقودا وذلك في قوله (ليس للملك أن يغضب ، لأن القدرة من وراء حاجته . وليس له أن يكذب ، لأنه لايقدر أحد على استكراهه على

غير ما يريد . وليس له أن يبخل ولأنه أقل الناس عذرا في تخوف الفقر . وليس له أن يكون حقودا ، لأن خطره قد عظم عن مجاراة كل الناي) (الأدب الكبير / ٢٧) وقد ورد في عهد اردشير ماهو قريب من هذا المعنى (عهد اردشير / ٦٩) . فابن المقفع في هذه الوصايا واضح التأثر بثقافة امته وبموروثها الفكري فقد اقتبس الكثير من وصايا الفرس لملوكهم ، والتي سجل فيها الكثير من نظمهم في السياسة والملك والقضاء ، وفنون الحرب وقد أشار إلى ذلك في مطلع رسالته هذه (ووجدناهم لم يرضوا بما فازوا به من الفضل الذي قسم لانفسهم حتى اشركونا معهم في ما ادركوا من علم الاولى والآخرة فكتبوا به الكتب الباقية ، وضربوا الأمثال الشافية ، وكفونا به مؤونة التجارب ، والفطن) وقال ايضا (فمنتهى علم عالمنا في هذا الزمان ، ان يأخذ من علمهم ، وغاية احسان محسننا ان يقتدي بسيرتهم) (الادب الكبير / ٨ - ٩) .

فقد افاد في مادته من حكم الاوائل واقوالهم مما قرأه في الادب الساساني في السياسة والاخلاق . فهذه الوصايا التي جاءت بها رسائل ابن المقفع في ظاهرها دعوى الى الاصلاح لما ساد هذه الدولة من فتن واضطرابات ، وفي باطنها نقد لهذه الدولة وللقائمين عليها من العرب العباسيين ، ومحاولة لاظهار مناقب قومه وما يملكونه من نظم ومبادىء في الحكم والسياسة ، وللدكتور احمد كمال زكي رأي في ذلك اذ يقول : (فالرأي اذن رأي ينطوي على شيء ، وظاهره شيء آخر ، فاذا دعا في رسالة الصحابة مثلا الى اصلاح الجيش اشترط - على ما رأينا - ان يعززه بجند من الخراسانية ، واذا دعا الى تنظيم الخراج اشترط رفع يد المقاتلة عنه واذا عرض لمشكلة القضاء انحى باللائمة على الحرية المطلقة التي اعطيت للقضاه - وكانوا عربا - وطالب باقامة نظام فيه من الفارسية شيء ومن الرومانية شيء آخر .

فاذا ناقشنا محتوى الرسالة بعد ذلك على مستوى فقهي تبين ان ابن المقفع يعتمد بمطالبه على السنة والكتاب ، وحكم عقله في اقامة دستور لو نفذ لتغير تاريخ

العباسيين من اساسه (الحياة الادبية في البصرة / ٤٥٤ ـ ٤٥٥) .

والباحث يعتقد بان ابن المقفع غير صادق في وصيته ولا في دعوته الى الاصلاح ، وليست هي غايته ، لانه لا يخشى على ملك الخليفة ولا على سلطان الدولة الجديدة . فان كان هذا رأي الاستاذ أحمد زكي ، فان هناك من يخالفه في هذا الاعتقاد والقول برأي آخر . وذلك كالذي قاله الاستاذ احمد امين : (ويظهر ان تعمق ابن المقفع في دراسة الحياة الاجتماعية اداه الى استنكار كثير من الأمور ورأى ان معظمها يرجع الى حكام عصره ، ورأى ان الحرية السياسية غير متوافرة في زمنه ، فهو لا يستطيع ان ينقد الخليفة وبطانته نقدا صريحا ، وقد عاش ابن المقفع وقت نضوج فكره في زمن أبي جعفر المنصور ، وهو شديد البطش قوي المنة سريع الى اعمال السيف) (ضحى / ١ : ٢١٨) .

ولكي نخرج برأي ثابت وصريح حول ما ذكر عن ابن المقفع وموقف المنصور من دعواته الاصلاحية . نرى لزاما علينا ان نعرض لبعض الوصايا التي صدرت من بعض الوعاظ والنساك في حضرة الخلفاء العباسيين والمنصور احدهم ، لنرى مدى تقبل خلفاء هذه الدولة وحكامها للدعوات الاصلاحية الحقة، ومن رجال اتصفوا بالورع والتقوى ، والاخلاص التام للدين الاسلامي والعمل في خدمته واعلاء كلمته . ومنها ما ذكر ابن عبد ربه في كتابه «العقد الفريد» عن الخليفة المنصور وهو قوله : ـ

(بينما المنصور في الطواف بالبيت ليلا اذ سمع قائلا يقول : اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض ، وما يحول بين الحق واهله من الطمع . فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل الى الرجل يدعوه . فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الارض ؟ وما الذي يحول بين الحق واهله من الطمع ؟ فو الله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني ، فقال : ان امنتني يا

أمير المؤمنين أعلمتك بالامور من أصولها ، والا احتجزت منك واقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل . قال : فأنت آمن على نفسك فقل . فقال : يا أمير المؤمنين ، ان الذي دخله الطمع وحال بينه وبين ما ظهر في الارض من الفساد والبغي لانت ، فقال : فكيف ذلك ويحك ! يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي ؟ قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ، ان الله استرعاك أمر عباده وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، واهتمت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر ، وأبوابا من الحديد ، وحرسا معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك عنهم فيها ، وبعثت عمالك في جبايات الأموال وجمعها ، وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع ، وأمرت أن لا يدخل عليك احد من الرجال الا فلان وفلان نفرا سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ، ولا الجائع العاري) . (العقد ٣ : ١٥٩ - ١٦١) .

بهذا القول الغليظ يتجه هذا الرجل لأقوى خلفاء بني العباس شكيمة وأشدهم بأسا ، لا يثنيه عنه الا تقوى الله وطلب مرضاته ، والمنصور لم يقابل هذه الغلظة وهذا الاندفاع بالقول . بالغضب ، ولا برحابة الصدر فقط ، وإنما ببالغ التأثر والوجل ، حتى قيل ان المنصور أجهش بالبكاء عند سماع قول هذا الرجل وقال : ليتني لم اخلق . ويحك ! فكيف احتال لنفسي ؟ . فقال يا امير المؤمنين ان للناس اعلاما يفزعون اليهم في دينهم ويرضون بهم في دنياهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في امرك يسددوك ، قال : قد بعثت اليهم فهربوا مني ! قال : خافوك ان تحملهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ الفيء في حلها ، وأقسمها بالحق على اهلها ، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة . وجاء المؤذنون فسلموا عليه ، فصلى وعاد الى مجلسه ، وطلب الرجل فلم يوجد) (عيون الاخبار ٢ / ٣٣٤ العقد ٣ : ١٦٠) .

ولم يكن ما دار بين المنصور وبين هذا الرجل هو الموقف الوحيد له مع أهل الوعظ ، ليقبل منهم الموعظة الحسنة والنصيحة الخالصة ، بل نجده يطلب حضورهم اليه لنفس الغاية ، وذلك كخبره مع الاوزاعي حين دخل عليه فقال له المنصور : ما الذي أبطأ بك عني ؟ قال : يا أمير المؤمنين وما الذي تريده مني ؟ فقال : الاقتباس منك ، قال الاوزاعي : انظر ما تقول : (فإن « مكحولا » حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « من بلغه عن الله نصيحة في دينه ، فهي رحمة من الله سيقت اليه ، فان قبلها من الله بشكر ، والا كانت حجة من الله عليه ، ليزداد اثما ، وليزداد عليه غضبا ، وان بلغه شيء من الحق فرضي فله الرضا ، وان سخط فله السخط ، ومن كرهه فقد كره الله لأن الله هو الحق المبين » فلا تجهلن ، قال : وكيف أجهل ؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمع ، قال الأوزاعي . فسلّ عليّ الربيع السيف ، وقال : تقول لأمير المؤمنين هذا ؟ فانتهره المنصور وقال : أمسك ، ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال : « أنك قد اصبحت من هذه الخلافة بالذي أصبحت به ، والله سائلك عن صغيرها وكبيرها ، وفتيلها ونقيرها ، ولقد حدثني عروة بن رويم أن رسول الله ﷺ قال : « ما من راع يبيت غاشا لرعيته الا حرم الله عليه رائحة الجنة » فحقيق على الوالي ان يكون لرعيته ناظرا ، ولما استطاع من عوراتهم ساترا ، وبالقسط فيما بينهم قائما . . .) (العقد ١ /٣٠٥ ، عيون ٢ /٣٣٨) .

وخبره أيضا مع سفيان الثوري حين لقيه المنصور في الطواف وسفيان لا يعرفه (فضرب بيده على عاتقه وقال : أتعرفني ؟ قال : لا ، ولكنك قبضت على قبضة جبار ، قال : عظني أبا عبد الله ، قال : وما علمت فيما علمت فأعظك فيما جهلت ؟ قال : فما يمنعك أن تأتينا ؟ قال ان الله نهى عنكم ، فقال تعالى : ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ . فمسح أبو جعفر يده به ثم ألتفت الى اصحابه ، فقال : القينا الحب الى العلماء فلقطوا الا ما كان من سفيان فانه اعيانا فرارا .) (العقد ٣ : ١٦٥) .

فسعة الصدر هذه والسماحة لسماع الوعاظ والتأثر بوصاياهم الى درجة الاجهاش بالبكاء لم تكن حالة نادرة للخليفة المنصور وحده ، فقد أورد صاحب كتاب (عيون الاخبار) وصاحب كتاب (العقد الفريد) العديد منها مع الخليفة المهدي والخليفة الرشيد والخليفة المأمون . فمما يروى عن المهدي في هذا الخصوص انه ارسل الى سفيان الثوري يدعوه لزيارته ليكون من خاصيته (قال القعقاع بن حكيم : كنت عند المهدي وقد اتى بسفيان الثوري ، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم بالخلافة ، والربيع قائم على رأسه متكئا على سيفه يرقب أمره ، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق ، وقال له يا سفيان ، تفر منا هاهنا وها هنا وتظن انا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ، فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟ قال سفيان : ان تحكم فيّ يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل ، فقال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، أهذا الجاهل ان يستقبلك بمثل هذا ؟ أيئذن لي أن أضرب عنقه ، فقال له المهدي : اسكت ويلك ، وهل يريد هذا وأمثاله الا ان نقتلهم فنشقى بسعادتهم ؟ اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم ، فكتب عهده ودفع اليه ، فاخذه وخرج فرمى به في دجلة وهرب ، فطلب في كل بلد فلم يوجد) (وفيات الاعيان ٢ / ٣٩٠ تحقيق الدكتور احسان عباس مروج الذهب ٣/٣٣٢ .

فهذا القول الذي جاء به عالم من علماء المسلمين أشتهر بالورع والتقوى والبعد عن مخالطة الملوك ، والانسياق وراء عطاياهم وهباتهم . فلم تخدعه العروض المغرية ، كما خدعت سواه من اولئك الذين تغاضوا عن الكثير في سبيل ارضاء الخليفة والقول بما يرضي اهواءه وللخليفة الرشيد ايضا مواقف مع بعض الزهاد ، الذين تقدموا بمواعظهم وتوجيهاتهم الدينية بلغة حادة نافذة لا تثنيهم عن قولهم هيبة الخليفة ولا سطوته . فهم يسعون الى مرضاة الله في تعريف الحاكم بالعاقبة في الآخرة التي هو مقدم عليها ، ليعد نفسه لذلك من العمل الصالح والحكم الرشيد القائم على العدل والانصاف ، واحقاق الحق ، وابطال الباطل ،

ومن هذه المواقف مقام الفضيل بن عياض بين يديه وقوله : (يا حسن الوجه ، أنت الذي امر هذه الأمة في يدك وعنقك ؟ لقد تقلدت أمرا عظيما ، فبكى الرشيد ، ثم أتى كل رجل ببدرة ، فكل قبلها الا الفضيل ، فقال الرشيد : يا أبا علي ان لم تستحل اخذها فأعطها ذا دين أو أشبع بها جائعا أو أكس بها عاريا فاستعفاه منها ، فلما خرجنا قلت : يا أبا علي ، اخطأت ، ألا أخذتها وصرفتها في أبواب البر ؟ فأخذ بلحيتي ثم قال : يا أبا محمد ، أنت فقيه البلد والمنظور اليه وتغلط مثل هذا الغلط ؟ لو طابت لأولئك لطابت لي .) (ويحكى أن الرشيد قال له يوما : (ما أزهدك . فقال الفضيل : أنت أزهد مني ، قال ، وكيف ذلك ؟ قال : لأني أزهد في الدنيا ، وأنت تزهد في الآخرة ، والدنيا فانيه والآخرة باقية .) . (وفيات الاعيان ٤ / ٤٨) .

بعد ان استعرضنا هذه النماذج المختلفة من المواقف والمواعظ التي قالها الوعاظ والزهاد بحضرة هؤلاء الخلفاء العباسيين ، نستطيع الآن ان نخرج برأي واضح وصريح ، وهو ان هذه المواعظ والوصايا تنقل لنا الطابع الذي كانت عليه تلك الدولة منذ نشأتها فقد تميزت بشيء من التسامح وحرية الفكر ، وبخاصة من رأس السلطة ، لولا هذا لم تصل هذه الحرية مداها في ذلك ، والدليل على ذلك تطور الحركات الفكرية ونشوء بعض المذاهب والاتجاهات الدينية والسياسية المختلفة . ولعل في المناقشات والمجادلات الفكرية التي تدور بين أهل المذاهب والعقائد المختلفة ـ التر روتها كتب الأدب والتاريخ ـ دليلا واضحا لما نقول وعلينا ألا نغفل الاخبار التي تحدثت عن الفتك والاضطهاد لشخصيات معينة في ذلك العصر ، فهي لم تحدث الا كردة فعل لخطر يتهدد الخلافة العباسية أو لغيرة على الدين الاسلامي .

وفي ما جاءنا من الاخبار التي حدثتنا عن حسن استماع بعض الخلفاء الذين وصفوا بالبطش والشدة لوعظ الوعاظ وخشوعهم لهذا الوعظ الذي صدر بلغة

شديدة غلظة ، لدليل واضح على اتساع صدور هؤلاء الخلفاء وحسن تقبلهم للنصح الديني الخالص ، والا لم يستطع الواعظ منهم ان يفيض هذه الافاضة أو يسترسل هذا الاسترسال . ودليل ايضا على رقي الحياة الفكرية وتطورها في تلك الحقبة من الزمن حيث نمت في جو من الحرية والتسامح والا لا يعقل أن يتحقق هذا الرقي الفكري والازدهار الثقافي في أمة يسيطر على افرادها القيد والاضطهاد . لكن هذه الحرية في الحال نفسه قد تؤدي الى نتائج سلبية . فقد تكون سببا في تسرب الافكار المسمومة والعقائد الهدامة التي ظهر بعضها في تلك الفترة ، كنزعة الزندقة وغيرها من النزعات الحاقدة على العرب وعلى الاسلام الذي وجدوه السبب المباشر في رفع شأن العرب وفي قوة نفوذهم وسيطرتهم على بقاع شاسعة من العالم . ولعل ما جاء في وصية المهدي لابنه الهادي في تتبع الزنادقة والقضاء عليهم تظهر الغيرة على الدين والشدة في الحق .

وقد تميزت هذه الوصايا والمواعظ الدينية بفصاحة اللفظ وبلاغة المعنى واثارة الشعور ، واذعان النفس ، فكانت تبهر سامعها بما اشاعوا فيها من الايمان الشديد والتقوى ، يستمدون لوصاياهم مما في الذكر الحكيم والحديث الشريف وأقوال الصحابة والتابعين ، كذلك أقوال الوعاظ في العصر الأموي كحسن البصري . فهذه الوصايا اعتمدت على الموروث الفكري الاسلامي ولم تتأثر كثيرا بما نقل من ثقافات الأمم الاخرى كتأثر وصايا ابن المقفع وغيرها من الوصايا الصادرة الى الحكام بالوصايا الفارسية

فهذه الوصايا والمواعظ للحكام انطبعت بالطابع الديني الخالص حتى وان كانت تعالج الكثير من الامور الدنيوية ، فان معالجتها هذه جاءت من الباعث الديني في حث الحاكم ودعوته الى العناية بالرعية والرفق بهم ، وتدبير امور حياتهم المختلفة (السياسية والاجتماعية والثقافية) .

أما وصايا الحكام التي جاءت في مقدمة هذا الباب لابن المقفع وغيره من

الكتاب ، فقد عنيت بالأمور الدنيوية ، حتى وان بدت لنا عنايتها ببعض الأمور الدينية في بعض فقراتها ، فهي لتفخيمها واضفاء روح الرهبة فيها ، ولتكون أكثر تأثيرا في شعور الحاكم ووجدانه .

٥ ــ وصايا الخلفاء والكتاب الى المؤدبين والمعلمين :

لعل من أهم ما يميز وصايا المؤدبين في هذه الفترة هو انها لم تعد تصدر من الخلفاء والقواد والأمراء الى مؤدبي أبنائهم ومعلميهم فحسب . بل انها اخذت تصدر من بعض الادباء ورجال الفكر الى المؤدبين والمعلمين كافة . فان كانت وصايا الخلفاء والامراء (الآباء) صادرة الى مؤدب أو معلم بعينه ، فان الوصايا الاخرى كانت تصدر الى كافة المؤدبين والمعلمين . وذلك كوصايا بشر بن المعتمر ووصايا غيره من كتاب العصر ممن امتهن التعليم أصلا أو لم يمتهنه . فهذه الوصايا تحمل اسلوب التأديب ومنهاج التعليم وأوضح المعالم امام المؤدب أو المعلم يمكنه استخدامه والسير عليه عند القيام بهذه المهمة مع أبناء العامة أو أبناء الخاصة .

وفي وصايا المؤدبين عامة نقع على الكثير من القيم والمعاني الاسلامية أو غير الاسلامية والعربية أو غير العربية . فقد اطلع هؤلاء الموصون على موروثهم الفكري قبل الاسلام فقرأوا ما فيه من شعر وحكم وامثال ووصايا وسير وأيام ، ثم اتصلوا بموروثهم الاسلامي اتصالا مباشرا وذلك بما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة من قيم وتعاليم ومباديء . بالاضافة الى ما تم نقله من علوم وفنون الامم الاخرى الى العربية في كتب ومؤلفات قد تكون خاصة بهذه العلوم والآداب الاجنبية أو انها ضمن علومهم وآدابهم العربية .

وسنقف أولا عند الوصايا التي قالها الخلفاء لمؤدبي ابنائهم (ولاة العهد) ، وهذا الصنف من الوصايا يعد مناهج ثابتة لتهيئة ولاة العهد والقادة لتنشئتهم ، فيستوجب على الموصي لهم ـ وهم المؤدبون ـ ان يعدوا انفسهم اعدادا خاصا لتهيئة انفسهم لهذه المسؤولية الخطيرة والعبء الكبير الذي قد يرفع بهم الى اعلى مكانة من

الخطوة عند الخليفة أو ان تحط به الى ادنى مكانة منها ، وفي الغالب يقع الاختيار على شخصيات لها من الشهرة العلمية والمكانة الادبية ما يؤهلها للقيام بهذا الدور الخطير .

ولعل في رواية الاصمعي التي نقلها القاضي التنوخي في كتابه (الفرج بعد الشدة ٣ : ١٦١ - ١٦٥) لدليلا واضحا على ما ذكرناه ، فهو يروى فيها كيف كان في ايامه الاولى وهو في البصرة ، مقل الحال يطلب العلم في المساجد وينقل من محدث الى لغوي الى اخباري ، وكان بجانب داره بقال يراقب حاله ، فأوصاه يوما قائلا : يا هذا اقبل وصيتي ، أنت شاب ، فلا تضيع نفسك ، واطلب معاشا يعود عليك نفعه ، واعطني جميع ما عندك من الكتب ، حتى اطرحها في الدن ، وأصب عليها من الماء للعشرة أربعة ، وأنبذه ، وانظر ما يكون منه ، والله ، لو طلبت مني بجميع كتبك ، جزره بقل[١٨] ، ما اعطيتك) (الفرج ٣ : ١٦١) فيضيق صدر الاصمعي بما يسمعه من البقال حتى اصبح يخرج من بيته ليلا ويأتيه ليلا ، وحاله تزداد ضيقا ، حتى افضى الى بيع داره . الى ان بعث اليه الرشيد يوما ليحضر لتأديب ابنه ، فتغير حاله ، وامتلك الدور والضياع ، وأصبح من أبرز العلماء في مجلس الرشيد ومن خاصته ، فالتقى بالبقال يوما ، وقد تغيرت به الحال ، فوجده رث الثياب ، هزيل الحال ، فرد عليه الاصمعي بعد ان حياه : بحير ، وقد قبلت وصيتك ، وجمعت ما عندي من الكتب وطرحتها في الدن كما امرت ، وصببت عليها من الماء للعشرة أربعة ، فخرج ما ترى ، فيقول الاصمعي بعد ذلك : فأحسنت اليه بعد ذلك وجعلته وكيلي) (الفرج ٣ : ١٦٥) .

ومن أبرز الوصايا الموجهة للمؤدبين :

وصية الرشيد لمؤدب الامين الاحمر النحوي : قال الاحمر النحوي : بعث الي الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين . فلما دخلت قال : يا احمر ، ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك عليه

واجبة. فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، اقرئه القرآن ، وعرفه الآثار ، ورّوه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبدأه ، وامنعه الضحك الا في اوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا اليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرّن بك ساعة الا وانت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها ، من غير ان تخرق به فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة . (مروج الذهب ٢ : ٣٥١ ، الفرج بعد الشدة ٢ : ١٦٣ ، الفخري : ١٨٧) .

فهذه الوصية تدل على منهاج التعليم ونوعية التربية التي كان يطلبها الخلفاء ذلك العصر لابنائهم ، وتدل أيضا على مدى التحول الذي وصلت اليه الحضارة العربية في العصر العباسي ، ومدى استفادتها من نظم وحضارات الامم الاخرى ، ممن وقف العرب على آرائهم ومؤلفاتهم . ففي الفقرة الاولى من قوله (اقرئه القرآن) وحتى قوله (وبصره بمواقع الكلام) يتضح الجانب التعليمي ، وهو أن يكون ولي العهد ملما بهذه العلوم ، متمكنا بها . وفي الفقرة (وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه) فهي تمثل الجانب السياسي ، أما التوجيهات التي جاء في باقي الوصية فهي تعني بالجوانب التربوية والتأديبية وللرشيد أيضا وصية أخرى مختصرة نقلتها كتب الادب عن الاصمعي وقد قالها عندما احضره لتأديب ابنه الامين وهي قوله : (وان ولد الرجل مهجة قلبه ، وثمرة فؤاده ، وهو ذا أسلم اليك ابني محمدا بامانة الله فلا تعلمه ما يفسد عليه دينه ، فلعله ان يكون للمسلمين امام) (الفرج بعد الشدة ٢ : ١٦٣) . وللرشيد وصية اخرى ثالثة وجهها الى الكسائي ولم تكن في تأديب ابنائه ، وانما اوصاه بما يطرحه عليه من أخبار وسير وأشعار قائلا : (يا علي بن حمزة ، قد احللناك المحل الذي لم تكن تبلغه همتك ، فروِنا من الاشعار أعفها ، ومن الاحاديث أجمعها لمحاسن الاخلاق ، وذاكرنا بآداب الفرس والهند ، ولا

تسرع علينا الرد في ملأ ، ولا تترك تثقيفا في خلاء) (شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد ٤ : ١٣٧) .

ففي هذه الوصية يحدد الرشيد للمؤدب الصفات والمزايا التي يجب التحلي بها . فهي صفات وآداب خاصة تليق بمن يحضر بلاط الخليفة ويقوم بتأديب وتلقين أبنائه . فيأمره بأن يختار من الاشعار اعفها ، ومن الاخبار والسير ما ينمي الخلق الحسن والسلوك السليم في الناشيء ، ثم التزود بأخبار وسير الامم الاخرى لان فيها الكثير من العبر والمواعظ .

وللرشيد وصية اخرى رابعة موجهة الى الاصمعي ترسم للمؤدب طبيعة عمله وهي قوله : « يا عبد الملك ، أنت اعلم منا ، ونحن اعقل منك ، فلا تعلمنا في ملا ، ولا تسرع الى تذكيرنا في خلا ، واتركنا حتى نبتدئك السؤال ، فاذا بلغت الجواب قدر الاستحقاق فلا تزد ، الا ان نستدعي ذلك منك ، وانظر الى ما هو ألطف في التأديب ، وانصف في التعليم ، بأوجز لفظ غاية التقويم) (ادب الدنيا والدين : ٧٤ ـ ٧٥) . ففي هذه الوصية تظهر الرغبة المستمرة في طلب العلم عند الخليفة مع كل المهام والمسؤوليات الملقاه على عاتقه ، وكان الرشيد قد رفعه من طبقة المؤدبين الى طبقة الندماء تكريما له ولما اتسمه فيه من اخلاق في تأديب بنيه .

ولعبد الملك بن صالح[١٩] وصية تذهب هذا المذهب لمؤدب ابنه بعد ان اختصه لمجالسته ومحادثته يقول فيها : « كن على التماس الحظ بالسكوت احرص منك على التماسه بالكلام ، فانهم قالوا : اذا اعجبك الكلام فاصمت ، واذا اعجبك الصمت فتكلم ، يا عبد الرحمن لا تساعدني على ما يقبح بي ولا تردن على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ، ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى ، وكلمني بقدر ما استنطقتك واجعل بدل التفريط لي حسن الاستماع لي . واعلم ان صواب الاستماع اقل من صواب القول . واذا سمعتني اتحدث فارني فهمك في طرفك وتوقفك ولا تجهد نفسك في

تطرية صوابي ، ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تظهر من استحسان ما يكون مني ، فمن أسوأ حالا ممن يستكذ الملوك بالباطل فيدل على تهاونه ، وما ظنك بالملك وقد احلك محل المعجب بما تسمع منه وقد احللته محل من لا يسمع منه ؟ وأقل من هذا يحبط احسانك ويسقط حق حرمة ان كانت لك ، واني جعلتك مؤدبا بعد ان كنت معلما وجعلتك جليسا بعد ان كنت مع الصبيان مباعدا . ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف سوء ما يولي لم يعرف حسن ما يبلي) (عيون الاخبار ١ : ٢١ ، زهر الآداب ٣ : ٧١٧ - ٧١٨) .

وقد أحضر يحيى بن خالد البرمكي مؤدبي ابنه ابراهيم (ومن كان ضم إليه من كتابه) يوما . فقال لهم : ما حال ابراهيم ؟ قالوا . قد بلغ من الأدب كذا ، ونظر في كذا ، وقد اتخذنا له من الضياع كذا ، وبلغت غلته كذا . فقال : ماعن هذا سألت ، إنما سألت : هل اتخذتم له في اعناق الرجال منا ، وحببتموه إلى الناس ؟ قالوا : لا . قال : فبئس العشراء أنتم ! وهو إلى هذا أحوج مما فعلتم ، وتقدم بحمل بخمس مئة ألف درهم ، وأمر بتفريقها على الناس) (الوزراء : ١٨٠) . فهذه الوصية تبين التأديب السياسي وخصائصه لمؤدبي ابناء الوزراء والقواد ، وتبين لهم حسن تدبر الأمور ما يقولونه فيما بعد .

فمن خلال هذه الوصايا نستطيع أن نتعرف على المناهج التي كان المؤدبون يعدونها لتهيئة ولاة العهد والقادة ، فهم سيؤهلون شخصيات ليست عاديه ستتولى مهام الأمور ، فعلى عاتق المؤدبين تقع هذه المسئولية الخطيرة ، فهم بالإضافة إلى التأديب السياسي وحسن تدبير أمور الحكم عليهم أيضا أن يزودوهم بمختلف المعارف والفنون التي تنوعت وتباينت في هذا العصر . ومن أهم ما ألح عليه الآباء للمؤدبين في تعليم أبنائهم وتاديبهم الأمور التالية :-

١ ـ التعليم الديني :ـ الذي يتضح منه التركيز على الدعوة إلى تعلم القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وقد أولى الخلفاء هذا الجانب عناية خاصة في تأديبهم

للأبناء . فإن صدرت الوصايا من الخلفاء إلى مؤدبي ابنائهم لأجل تعريفهم بالدين وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية . فقد صدرت وصايا مماثلة لهذه من بعض رجال الدين أو بعض الوعاظ للخلفاء أنفسهم للعناية بهذا الجانب عند تأديبهم للأبناء ، وذلك مثل وصايا الإمام مالك إلى الخليفة الرشيد يوصيه بتأديب ابنه قائلا : (أدب ولدك ، ومن وليت امره على خلقك وأدبك ، حتى يتأدبوا على ما أنت عليه ، فيكونوا لك عونا على طاعة الله ، بلغني عن ابن مسعود (رض) أنه قال : كل مؤدب يجب أن يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هو القرآن) (الوصايا الخالدة / ١٨٦) . وكذلك وصيته للرشيد أيضا (إذا علمت علما فلير عليك أثره وسكينته وسمته ووقاره وحكمه . لقوله ﷺ العلماء ورثة الأنبياء) (آداب المتعلمين لابن جماعة / ١٧٥) .

٢ ــ ثم يأتي ذلك الاهتمام بقراءة الاخبار والسير للتعرف على اخبار الماضين من العرب ومن الأمم الأخرى وحتى يكون الموصي له أو المتأدب أكثر فهما وتعرفا لطبيعة مجتمعه ومطلعا على مشاكله ، وعلى الأحداث السياسية وأساليب حلها ليأخذ منها بعد ذلك عبرة تعينه في تدبير امور الحكم عند توليه السلطة . وهناك الكثير من الأخبار والروايات التي أوردتها كتب الأدب والتي تتحدث عن اهتمام الخلفاء الآباء في هذا الجانب ، منها : ما ذكر عن المنصور عندما كلف محمد بن اسحق بن سيار أن يضع لابنه المهدي كتابا في خلق الله تعالى آدم إلى يومه ذاك ، وابن اسحق هذا كان عالما بالسير والمغازي وأيام الناس (تاريخ بغداد ١ : ٢٢١) وكذلك طلب المنصور من الشرقي بن القطامي ـ حين ضمه إلى المهدي ـ أن يعني بالأخبار والسير ، فوضع الشرقي كتابا في التاريخ والأنساب للمهدي (الفهرست : ١٧٠ ، ٢٠٦) (الأمالي ٢ : ١٤٤ ، مروج الذهب : ٧٤) .

والرشيد يوصي ابنه أن يرافق اسحق بن علي بن عيسى الذي يحفظ الكثير من

اخبار اسرة بني العباس (تاريخ بغداد ١٠ : ٤٦ ، ٥٤) فالغاية من هذا كله هي تبصير ولي العهد (المتأدب) بأمر السياسة وإدارة الحكم ، ونتيجة لهذا أصبحت الأخبار والسير والأيام مادة أساسية في تأديب ابناء الخلفاء فانتشرت لذلك المؤلفات وجهد الكتاب والعلماء في الكتابة في هذا الجانب . فكانت هذه من الأسباب الرئيسية التي دفعت إلى التأليف في السير والأخبار في هذا العصر .

٣ _ أما اللغة وعلومها فقد نالت الإهتمام الكبير في وصايا الخلفاء لمؤدبي ابنائهم خاصة وفي وصايا المؤدبين والمعلمين عامة . وقد لاتخلو وصية من هذه الوصايا من التركيز والدعوة إلى الاهتمام باللغة وعلومها . وقد تحدثنا سابقا عن المنصور وكيف اتقن اللغة اتقانا كاملا لأنه ارضع في البادية وعاش مع البدو فصقلت لغته وصح منطقه وقد سبقه إلى ذلك خلفاء بني أمية في ارسال ابنائهم إلى البادية لتعلم اللغة من مصادرها الأصلية . ونقرأ الكثير من أخبار الشعراء وعلماء اللغة الذين رحلوا إلى البادية ، وأقاموا فيها الحول والحولين لاتقان اللغة وأخذها من ألسنة أهلها كبشار وأبي نواس من الشعراء ، والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم من اللغويين ، وقد تشدد علماء اللغة في هذا الجانب مع شعراء العصر . وكذلك في سوق المربد في البصرة الذي لم يعقد للتجارة فحسب بل عقد للقاء أهل البدو بأهل الحضر ، فكان هذا السوق أشبه بالمهرجانات الأدبية التي تقام في عصرنا الحاضر ، يسمع أهل الحضر من أهل البدو ماجدّ من شعرهم وأمثالهم لتتناقله ايدي الرواة بالحفظ والتدوين ، وليستعين به علماء اللغة . فلهذه الغاية التعليمية نرى المفضل الضبي يضع المفضليات للمهدي (مروج ٣ : ٧٤ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٦٩) ، فاللغة منهج مهم في السياسة التعليمية لأبناء الخلفاء ، لذا نرى المأمون عندما سمع بعض ابنائه يلحن أوصاه بقوله : (ما على أحدكم أن يتعلم العربية ، فيقيم بها أوده ، ويزيد بها مشهده ، ويفل بها حجج خصمه ، يمس كتاب حكمه

ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه ، ليس لأحد أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدهر أسير كلمته) (زهر الآداب ٣ : ٧٧٥) فقد اعتبر المأمون أن اتقان العربية من مستلزمات الحكم الأساسية فبها يفند حجج خصومه ، وتقوي حجته ، وهي زينة له في مجلسه .

ولقد أشرنا في بداية حديثنا في هذا الباب إلى وصايا المؤدبين أو المعلمين عامة ، ومن أشهر هذه الوصايا وصية (بشر بن المعتمر) التي تناقلتها كتب الأدب ، ولعل الجاحظ كان من أكثر الكتاب القدامى إهتماما بهذه الوصية فيما بعد فقد أخذها بالدرس والتحليل ، ولا غرو في ذلك فالجاحظ اهتم بهذا الموضوع ووضع رسالة المعلمين المشهورة التي بث فيها وصاياه إلى المعلمين والمؤدبين ، وكذلك في باقي كتبه . وبشر بن المعتمر نظم الشعر وإن كان بارعا في نظامه غير أنه لم ينظمه في الأغراض الغنائية التي تعود الشعراء أن ينظموا فيها ، بل نظم في الاتجاه التعليمي . فنظم في الرد على أهل النحل من خصوم المعتزلة ، ونظم في ذكر عجائب الله في خلقه . (الحيوان ٤ : ٢٣٩ ، البيان ١ : ١٣٥ ، امالي المرتضي ١ : ١٨٦ ، لسان الميزان ٢ : ٣٣ ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٣ : ٣١٦ ، الملل للشهرستاني : ٤٤ ، المنية والأمل المرتضي : ٣١) .

وقد عده صاحب كتاب ضحى الإسلام بأنه مؤسس علم البلاغة في قوله : (إنه أول مؤسس لعلم البلاغة العربية ، وذلك بالصحيفة التي نقلها الجاحظ في البيان والتبيين . فقد تعرض فيها لأمور أساسية في البلاغة لم أرها لأحد قبله) (ضحى الاسلام ٣/١٤١) .

ولئن كانت هذه الصحيفة في مجملها ترشد الخطيب وتدله على الأسس والأصول السليمة لاتقان هذا الفن ، فهي في حقيقتها وصايا عامة يمكن الأخذ بها إزاء أي عمل من الأعمال الأدبية ، ويتضح ذلك في قوله : (خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، واجابتها إياك ، فإن القليل تلك الساعة أكرم جوهرا ،

واشرف حسبا ، وأحسن في الاسماع وأحلى في الصدور ، واسلم من فاحش الخطأ ، . . . من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة . ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا ، وخفيفا على اللسان سهلا) فهو يلفت الأديب والكاتب إلى ذلك المبدأ المهم ، وهو استغلال اللحظة التي تتهيأ فيها النفس إلى الإبداع والإبتكار . فإن القليل منها خير من الكثير الذي يظهر فيه التكلف وإجهاد النفس وكد الذهن .

ثم ينتقل في صحيفته هذه إلى مبدأ آخر في البلاغة وهو البعد عن التكلف والتعقيد في اللفظ والتفكير ، وذلك في قوله : (إياك والتوعر ، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك) .

وهو بهذا الكلام يضعنا أمام حقيقة مهمة وواضحة في البلاغة ، وهي أن العبارة الوعرة التي يسودها التعقيد تشين اللفظ وتذهب برونقه وتستهلك المعنى ، ويحدث العكس تماما في العبارة الرقيقة الواضحة إذ هي تزيد من بهاء اللفظ ومن رونقه ، وتقرب المعنى وتؤكده في الشعور وقد استطاع (بشر) نفسه أن يعبر عن هذه الحقيقة باسلوب واضح ورقيق . ثم انتقل بعد هذا إلى الحديث عن اللفظ والمعنى ، وعن مدى ملاءمتها وانسجامها في العبارة ، وذلك في قوله : (ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما . . . وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال) .

وقد أشار الدكتور بليع في كتابه (أدب المعتزلة / ١٩٧ ـ ١٩٨) إلى أن بشر بن المعتمر (هو أول من تحدث في موضوع اللفظ والمعنى ، وتحدث عن طبيعة الصلة التي يجب أن تقوم بينهما ، واللفظ والمعنى ـ أو ما يسمى بلغة النقد الحديث الشكل والمضمون ـ هما العنصران الرئيسيان اللذان يتكون منهما كل عمل في ،

وبقدر ما تتأكد الصلة بين هذين العنصرين ويصبح كل منهما ملائما للآخر يكون العمل الفني الذي يتكون منهما عملا ناجحا قويا ومؤثرا) - ثم يقول (ومن هنا عنيت معايير النقد الحديث بقضية الشكل والمضمون عناية كبيرة ، وأصبحت العلاقة بينهما هي الشيء الخطير الذي يشغل بال النقاد ، فإذا وجدنا رجلا كبشر بن المعتمر يعيش في مطلع القرن الثالث الهجري يتنبه إلى هذه القضية ، ويتحدث عنها في هذا الوضوح ، فإن هذا الرجل يستحق منا التقدير والإعجاب) .

فهذه الوصايا التي وردت في هذه الصحيفة لم تقف عند تعلم فن الخطابة فحسب ، بل إنها اشتملت على الكثير من الأسس والمبادىء التي تعين على اتقان العربية عامة سواء أكان ذلك قولا أو كتابة ، وذلك في الأصول التي وضعها (بشر) لعلم البلاغة والبيان في هذه الصحيفة ، فهي إذن ليست للخطيب فقط ، بل لكل عالم وكاتب وأديب ، لذا نرى ابراهيم بن جبلة عندما رمي عليه بشر بهذه الصحيفة وهو يعلم فتيانه الخطابة . قال : (أنا احوج إلى هذا من هؤلاء الفتيان) .

وللجاحظ أيضا مجموعة من الوصايا ضمنها بعض كتبه ومؤلفاته ، إلا أن أهمها في هذا الجانب هو ماجاء في رسالة المعلمين ، ففيها الكثير من النصائح والتوجيهات الصادرة إلى المعلمين خاصة والتي ترسم لهم المنهجين التعليمي والسلوكي ، وتحدد لهم أيضا طبيعة عملهم . ومنها قوله في تعلم النحو (وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه ، وشعر إن أنشده ، وشيء إن وصفه ، ومازاد عن ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ، ومذهل عما هو أردُّ عليه منه من رواية المثل والشاهد ، والخبر الصادق ، والتعبير البارع) (الرسائل ٣/ ٣٩) ، فالجاحظ في هذه الفترة لا بد للمعلم أن يرهق ذهن الصبي عند تدريسه النحو في البحث بجميع موضوعاته وذكر غريبه وشواذه ، وإنما يكتفي في تعليمه بما يحميه من اللحن في القول والكتابة . أما قوله : (ثم خذه بتعريف حجج الكتّاب وتخلصهم

باللفظ السهل القريب المأخذ إلى المعنى الغامض ، وأذقه حلاوة الاختصار وراحة الكفاية ، وحذره التكلف واستكراه العبارة ، فإن أكرم ذلك كله ما كان إفهاما للسامع ، ولا يحوج إلى التأويل والتعقب . ويكون مقصورا على معناه لا مقصرا عنه ولا فاضلا عليه .) (رسائل٣/٣٩) ، فهو يحثه على أن يوضح لتلميذه ما جاء من حجج الكتّاب بالألفاظ السمحة البسيطة التي تؤدي إلى المعنى بيسر ، والاختصار ويظهر ميل الجاحظ إلى الاختصار والبعد عن الإسهاب بقوله (وأذقه حلاوة الاختصار) . والجاحظ صادق في دعوته إلى استخدام هذا المنهج التعليمي إذ أنه اتخذ هذا الأسلوب وسار عليه في كتاباته ، وهو الأسلوب المتميز بالسهولة والوضوح والاختصار العبارة في تأدية المعنى المراد - ولعل هذا الأسلوب يمثل أهم الخصائص التي تميزت بها الكتابة عند الجاحظ .

وفي قوله : (وشر البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل أن يهيأ المعنى ، عشقا لذلك اللفظ ، وشغفا بذلك الإسم ، حتى صار يجر إليه المعنى جرا ، ويلزقه به الزاقا ، حتى كأن الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى إسما غيره ، ومنعه الإفصاح عنه إلا به) (رسائل ٣/ ٤٠) .

يحاول أن ينبه المعلم إلى جانب مهم (وهو عدم اختيار اللفظ قبل المعنى) وهو يرى أن لكل معنى لفظا يناسبه ، أوفي الحقيقة أن لكل معنى شريف أو وضيع لفظه الخاص به والذي لايتم له إلا به ، وذلك في قوله : (وبالجملة أن لكل معنى شريف أو وضيع ، هزل أو وجد ، وحزم أو إصاعة ، ضربا من اللفظ هو حقه وحظه ، ونصيبه الذي لا ينبغي أن يجاوزه أو يقصر دونه) (الرسائل ٣/ ٤٠) .

فهذه التوجيهات التي مرت في وصايا الجاحظ تعالج الجوانب التعليمية فقط . أما ما يتصل بالجوانب السلوكية فالجاحظ عني بها وحدد الأساليب والظروف النفسية والتعليمية التي تهيء التلميذ لتلقي العلم وهي قوله : (وبعد هذا فإني أرى ألا تستكرهه فتبغض إليه الأدب، ولا تهمله فيعتاد اللهو)(رسائل ٣/ ٤٩)

وكذلك في قوله : (درسه العلم ما كان فارغا من أشغال الرجال ، ومطالب ذوي الهمم ، واحتل في أن تكون أحب إليه من أمه ، ولا تستطيع أن يمحضك المقة ، ويصفي لك المودة على كراهته لما تحمل إليه من ثقل التأديب عند من لم يبلغ حال العارف بفضله) (رسائل ٣/ ٥٠) .

فالوصايا التي مرت بنا . . في مقدمة هذا الباب ـ والتي صدرت من الخلفاء والأمراء والقواد لمؤدبي ابنائهم ، جاءت بالكثير من الأسس التربوية والقواعد التأديبية العامة التي يمكن لمؤدب أو معلم الخاصة الاقتداء بها والسير عليها ، وقد اتخذت هذه الوصايا من القرآن الكريم والسنة الشريفة منبعا رئيسيا للتربية الإسلامية الحقة ، وكذلك من اشعار العرب واخبارهم وسير حكمائهم ومواقع مروءتهم ، وعلاقاتهم الاجتماعية السليمة .

أما وصايا الكتاب والأدباء للمعلمين والمؤدبين عامة ، كالتي صادفناها في صحيفة بشر بن المعتمر ، وفي رسالة المعلمين للجاحظ ، فهي تنظر إلى الجوانب التعليمية والسلوكية العامة .

لكن ما إن نتقدم قليلا في هذا العصر حتى نرى الكثير من المؤلفين والكتاب يفردون في كتبهم أبوابا خاصة للحديث عن العلم والعلماء ، وتتضمن هذه الأبواب الوصايا للحث على طلب العلم والترغيب فيه ، ومن بينها الوصايا التي ترشد المؤدبين والمعلمين عامة ، وترسم لهم المنهاج السليم الذي يمكنهم الاقتداء به والسير عليه عند تأدية مهمتهم التعليمية ، وقد جمعت هذه الوصايا العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة والتابعين ، وأقوال الخلفاء والرجال وتوجيهاتهم في عصر بني أمية والعصر العباسي مضافا إلى ذلك اقوال الفرس والروم التي تدعو جميعها إلى طلب العلم والبذل له ، ويرد منها أيضا الكثير من الارشاد والتوجيه للمعلم والمؤدب عند تأدية هذه المهمة الخطيرة وقد جمعت هذه التوجيهات والوصايا الجوانب التعليمية والتأديبية المختلفة سواء ما كان منها يعالج الناحية

المنهجية التعليمية أو الناحية السلوكية والنفسية .

ومن أشهر المؤلفات التي عنيت بهذا الجانب فيما بعد كتب الجاحظ (كتاب عيون الاخبار) و (كتاب المعارف) لابن قتيبة ، وكتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه .

وفي (مقدمة ابن خلدون) وفي غيرها من الكتب التي أوردت الكثير من الوصايا للمعلمين والعلماء قد ترد هذه الوصايا التي تعين في الناحية التعليمية حتى في الكتب الدينية التي توصي بتعلم الدين والتفقه فيه ، فهي أيضا تضع الكثير من الارشادات والنصائح الحقيقية لهذه الناحية

فإذا كنا قد استرسلنا في ذكر الوصايا المختلفة في هذا الباب ، وحددنا ما كان منها صادرا من خليفة او وزير أو قائد إلى مؤدب أو معلم خاص ، وما كان صادرا من كتاب أو أدباء إلى المؤدبين والمعلمين عامة . ولم نقف عند أي وصية منها لنعالجها معالجة فنية للتعرف على الجوانب الفنية الخاصة بها . سواء أكانت هذه الجوانب في ناحية اللغة ، أم في الأسلوب ، أم في المعاني . والسبب في ذلك أن هذه الوصايا قد جمعتها خصائص لغويه واحدة . فصدرت بلغة واضحة وسليمة لتوصل ما بها من توجيه وإرشاد للمعلمين والمؤدبين عامة ، دون الاهتمام بالصناعة اللفظية كأن يعمد أصحابها إلى اختيار الألفاظ الجزلة القوية ذات الوقع والتأثير في شعور ووجدان القارىء أو السامع ـ كالتي صادفناها في بعض وصايا الأباء السابقة ـ أن يعنوا بالزينة اللفظية ، ويتخذوها في وصاياهم بقصد الترغيب فيها وذلك لأنها صدرت إلى جماعة هم ألصق الناس بالعلم وبالتعليم وهم يقدرون فائدة هذه الوصايا ، وفائدة ما تتضمنه من نصائح وتوجيهات تعليمية وسلوكية لها الدور الفعال في مهنتهم هذه عند الاهتداء بها والسير على منهجها .

٦ ــ وصايا الخلفاء إلى القواد في الأمور الحربية :

الوصايا الحربية :

وهذا النوع من الوصايا لم يكن جديدا ، يصدر عن الملوك والخلفاء والولاة إلى قواد الجيوش . وقد نلمح في الوصايا إلى القواد في هذه الفترة نماذج من النظم والأساليب الحربية سواء ما كان منها عربية أو إسلاميا أو ما أخذه العرب وتعلموه من الأمم المجاورة ، وذلك كتنظيم الجيش إلى ميمنة وميسرة وإلى قلب وكذلك بعض أنواع الأسلحة المستخدمة في حروب تلك الفترة .

وقد بقيت وصايا القواد العباسية كوصايا القواد المسلمين السابقة تحث على التحلي ببعض القيم والمباديء التي دعت إليها آداب الحروب الإسلامية . وقد صادفناها في وصايا النبي ﷺ لقواده ووصايا الخلفاء الراشدين لقوادهم . وذلك في الدعوة الصريحة إلى حسن معاملة الشيوخ والنساء والأطفال ، وعدم إتلاف الزرع وانتزاع النخيل من الأرض ، وغيرها من الآداب الإسلامية في الحروب .

وقبل أن نستعرض الوصايا الموجهة للقواد في هذا العصر سنقف قليلا عند إحدى وصايا القواد الفارسية ، وهي وصية اردشير لأحد قواده التي يقول فيها : (لاتكن في أمرك متوانيا ، ولا نزقا ولا بادئا في القتال ، وإذا عبيت الصفوف فلا تجعل الفيلة إلا أمام الكل ، وفرق الطلائع إلى أربع أميال وإذا قامت الحرب فطف بنفسك على العسكر ، وصغر أمر العدو في أعينهم ، وقوّ قلوبهم وعدهم بعواطفنا ومبارنا ، ومنهم باعطيتنا وصلاتنا .) (عهد اردشير / ١١٥) .

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن تنظيم الجيش في المعركة وتقسيمه إلى

ميمنة وميسرة وقلب ، وحدّد أهمية ومسؤولية كل قسم في هذا التنظيم ، ثم دعاه إلى الاهتمام بالقلب ، وخطورته في هذا التقسيم وذلك في قوله (واحفظ قلب العسكر عند اللقاء ، واثبت مكانك وإياك أن تخرج منهم احد وأن كثر العسكر ، وكشف الجمع) ، وكذلك قوله (ولا يزايل قلب العسكر مكانه ، ويكون شبه البنيان المرصوص لا يتحرك منهم أحد إلا أن يتحرك قلب العدو ، فحينئذ تزحف بقلبك إليهم) (عهد اردشير / ١١٦) .

ثم دعاه بعد ذلك إلى أن يكون هو وجيشه متنبهين يقظين متحسبين لكل ظرف ، فلا يزايلهم الحذر حتى في وقت فرار العدو فلا ينشغلوا بالسلب وتقسيم الغنائم فقد يستغل العدو هذا الموقف فيعاود الكر ثانيه .

فهذه الوصية تدور أغلب توجيهاتها حول نظم الحرب وافانينه ولا نلمح التأكيد على حسن معاملة العدو في حالات معينة في الحرب ، أو الدعوة إلى التحلي ببعض الآداب مع السكان العزل في أرض العدو كالتي دعت إليها وصايا القواد الإسلامية إلا في عبارة مقتضبة وهي قوله : (وإذا رزقت الظفر وانهزم العدو فلا تسفك الدماء ، ومن استأمنك منهم فأعطه الأمان) (عهد أردشير / ١١٦) .

أما عن وصايا القواد العربية التي تصادفنا في هذه الفترة : فأهمها وصية ابراهيم الإمام أخطر رجالات الدعوة العباسية لأبرز قادتها أبي مسلم الخراساني والتي يقول فيها : (يا أبا عبد الرحمن : إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي : فانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم فإن الله لايتم هذا الأمر إلا بهم ، وأنظر هذا الحي من ربيعه فإنهم معهم ، وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره ومن وقع في نفسك تهمة . فقال أبو مسلم : أيها الإمام فإن ومع أننسا من رجل هو عال عتيد ذلك أحبسه حتى تستبينه ؟ فقال ابراهيم : لا ، السيف السيف .

ولعل أهم ما يلفت النظر في هذه الوصية هو قوله : (إن استطعت ألا تدع بخراسان أرضا فيها عربي فافعل ، وايما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله .) (الإمام والسياسة ٢/٢١٨) فهذا القول لايمكن التسليم به قبل مناقشته فقد يستخلص منه أن من أسباب نجاح الدعوة العباسية هو اعتمادها على العنصر الفارسي ، وهذا رأي ذهب إليه الكثير من الدارسين لهذه الفترة وقد يكون ما دفعهم إلى القول بهذا الرأي هو الدور الخطير الذي قامت به القيادات الفارسية في نجاح الدعوة العباسية وقيام دولتها . لكن علينا أن لانهمل الدور الذي لعبه العرب المقيمون في خراسان في مساعدة الدعوة العباسية ضد سلطة بني امية هناك . والسعي إلى قيامها ، وقد أشارت بعض الدراسات[٢٠] إلى هذا الجانب وسعت إلى تأكيده بهذا القول :

أ ـ إن بعض العرب في خراسان أمتهن الزراعة وشارك الفرس في هذه المهنة ، فأصبحوا يخضعون لنفس الضغوط الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها الفرس كدفع الضرائب مثلا للدهاقين الفرس الذين نصبهم (الوالي الأموي) ، فلعل استياء العرب في هذه الحالة أمر وأبلى لشعورهم بالحيف والضيم حيث إن الوالي العربي (الأموي) سلط الدهقان الفارسي عليهم لجباية الضرائب .

ب ـ والسبب الآخر هو وضع المقاتلة العرب في الحدود الشرقية ، الذين كانوا مصدرا للاستياء والتذمر بسبب سياسة التجميد التي اتبعها معهم بنو أمية ، في ابقائهم على خط النار صيفا وشتاء ، وكان العرب يقاتلون صيفا ويعودون لأهليهم شتاء ثم مسألة الغنائم وإنعدام العدالة في التقسيم ، إذ كانت السلطة تطلب من الولاة في خراسان باكثر من الخمس ، فهذا ينقص من نصيب المقاتلة من الغنائم .

جـ ـ وأشارت بعض الدراسات إلى أن بعض المدن الفارسية فيما وراء النهر لم تساند

الجيوش العباسية ضد جيش نصر بن سيار (القائد الأموي) وإنما البعض منها كجرجان ونهاوند أوت الجيش الأموي المنسحب ، وإن بعض الفرس اشترك مع نصر بن سيار في قتاله العباسيين فهذا كله يدعونا إلى رفض الرأي السابق القائل بأن الدعوة العباسية لم تقم إلا على اكتاف الفرس ، وبالتالي نستطيع التشكيك فيما جاء في هذه الوصية فقد تكون محرفة والصواب هو ماجاء في كتاب (العيون والحدائق / ٣ / ١٨٤) وهو (يا أبا عبد الرحمن أنك منا أهل البيت احفظ وصيتي ، وانظر هذا الحي من اليمن فاكرمهم وحل بين أظهرهم ، فإن الله عز وجل لايتم هذا الأمر إلا بهم ، وربيعة فاتهمهم ، وكذلك مضر فهم العدو القريب الدار ، واقتل من شككت في امره ، ولا تخالف هذا الشيخ (سليمان بن كثير) وإذا اشكل عليك أمر فاكتف به مني) (العيون والحدائق ٣ / ١٨٤) .

وللمنصور وصية أوصى بها عيسى بن موسى لما ارسله إلى حرب محمد بن عبد الله لما ثار ضده في المدينة المنورة . قال : (يا أبا موسى إذا صرت إلى المدينة فادع محمد بن عبد الله بن الحسن إلى الطاعة والدخول في الجماعة فإن اجابك فاقبل منه ، وإن هرب منك فلا تتبعه وإن أبى الحرب فناجزه واستعن بالله عليه . فإن ظفرت به فلا تخيفن أهل المدينة وعمهم بالعفو فانهم الاصل والعشيرة ، وذرية المهاجرين والأنصار ، وجيران قبر النبي ﷺ) فيدل هذا القول على حنكة المنصور السياسية ودرايته بتدبير الأمور ، وفي معالجة هذه الثورة القائمة ضده بالحيلة والروية ، وعدم الاندفاع في استخدام الشدة والبطش ، فحذره من الاندفاع واستخدام الشدة ، كاندفاع مسلم بن عقبة عندما وجهه يزيد بن معاوية إلى المدينة وأمره بقتل من ظهر من ثنية الوداع وأن يحيها ثلاثة أيام وأمره بعد ذلك أن يكتب إلى أهل مكة بالعفو عنهم لأنهم كما قال : (ان الله وجيرانه وسكان حرمه وأمنه ومنبت القوم والعشيرة وعظماء البيت والحرم لا تلحد فيه بظلم فإنه حرم الله الذي بعث منه محمد ﷺ وشرف به آباءنا بتشريف الله إيانا . فهذه وصيتي لاكما أوصى به الذي

وجه الحجاج إلى مكة . فأمره أن يضع المجانيق على الكعبة ، وأن يلحد في الحرم بظلم) (العقد الفريد ٥/٨٦ ـ ٨٧) .

فإن كانت بعض المصادر التاريخية قد وصفت المنصور بالبطش وشدة البأس فإن هذه الوصية قد اظهرت الجوانب الأخرى في شخصيته وهي الاتزان والحكمة ، فنجده في وصيته هذه رابط الجأش متمالك النفس غير مندفع حتى في الموقف الحرج المتمثل في قيام محمد بن عبدالله ضده وهو في سبيل تأسيس الدولة الجديدة وتثبيت قواعدها . فكل ثورة أو فتنة تحدث في مثل هذه الظروف تكون سببا قويا في انحراف الدولة الجديدة وسقوطها ، وهي في مراحلها الأولى ، إلا أن المنصور استطاع أن يعالج هذا الأمر بقوة واتزان ، ولولا هذه الصفات التي اتصف بها المنصور لما تحققت له السيطرة التامة على الحكم ، وارساء قواعده ثابتة قوية لمن جاء بعده من الخلفاء .

أما الجانب الفني الذي تجدر الاشارة إليه هنا هو أن هذه الوصية وما سبقتها من الوصايا العربية للقواد لايظهر فيها الإعداد الفني ، أو التكلف في استخدام الزينة اللفظية أو المعنوية ، إنما غاية ما ينشده الموصي وهو سلامة العبارة وصحتها مع رصانة الألفاظ وقوة تأثيرها ، لترضيح المعنى وتوصيله إلى الموصى له ولعل سبب ذلك أن هذه الوصايا صدرت كأوامر للقواد لذلك كادت تخلو من أي وشي أو تزويق لفظي أو معنوي .

وللرشيد وصية أوصى بها علي بن عيسى لما شيعه إلى خراسان قال فيها : (يا علي تيقظ في امورك ، واحترس من عدوك ، وشاور ذوي الاسنان والتجارب تفتح لك أبواب المطالب ، واتق الله يعلمني عنيك ، ولا تعصه يعلمني عليك) (الفاصل في صفة الأدب الكامل ٢ / ١٧) .

ومن وصايا القواد التي تصادفنا بعد ذلك وصايا الأمين لقواده وذلك كوصيته

لقائده علي بن عيسى بن ماهان عندما وجهه إلى جيش اخيه المأمون في زمن الفتنة بينهما التي يقول فيها : (امنع جندك من العبث بالرعية ، والغارة على أهل القرى ، وقطع الشجر ، وانتهاك النساء ، وول الري يحيى بن علي ، وضم إليه جندا كثيفا ، ومره ليدفع إلى جنده ارزاقهم مما يجيء من خراجها ، وول كل كورة ترحل عنها رجلا من اصحابك ، ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجهوها فاظهر اكرامه ، واحسن جائزته ، ولا تعاقب اخا باخيه وضع من أهل الخراسان ربع الخراج ، ولا تأمن احداً رماك بسهم ، أو طعن في اصحابك برمح ، ولا تأذن لعبد الله في المقام أكثر من ثلاثة أيام ، من اليوم الذي تظهر فيه عليه ، فإذا أشخصته ، فيكن مع أوثق اصحابك عندك ، وإن غره شيطان فناصبك ، فاحرص على أن تأسره اسرا ، وإن هرب منك إلى بعض كور خراسان فتول إليه المسير بنفسك ، افهمت كل ما اوصيك به ؟ .

قال :نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ، قال: سر على بركة الله وعونه ، (الطبري ٧/١٧) . فهذه الوصية تدل على ان قائلها ذو أدب جم وخلق عال نلمحهما في مطلع هذه الوصية حين قال (امنع جندك من العبث بالرعية ، والغارة على أهل القرى وقطع الشجر وانتهاك النساء) وكذلك قوله : (ولا تعاقب اخا باخيه) فهذا الخلق الذي دعا قائده إلى التحلي به يذكرنا بوصايا المسلمين الأوائل لقوادهم ، ويدل على أن الأمين اتعظ بها وسار على نهجها في حربه مع أخيه ، ونلمح هذا الخلق وهذا الأدب في وصية آخرى للأمين أوصى بها قائده محمد بن يزيد عندما ارسله لحرب طاهر بن الحسين قائد اخيه المأمون قال فيها : (أوصيك بخصال عدة ، إياك والبغي فإنه عقال النصر ، ولا تقدم رجلا إلا باستخارة ، ولا تشهر سيفا إلا بعد اعذار ، وما قدرت عليه باللين ، فلا تتعده إلى الخرق والشره ، واحسن صحابة من معك من الجند وطالعني باخبارك في كل يوم ، ولا تخاطر بنفسك في طلب الزلفة عندي ، ولا تستقها فيما تخوف رجوعه عليّ ، وكن لعبدالله أخا مصافيا ، وقرينا برا ، واحسن مجامعته ، وصحبته ومعاشرته ، ولا تخذله إن

استنصرك ، ولا تبطيء عنه إذا استصرخك ، ولتكن ايديكم واحدة ، وكلمتكما متفقة) (تاريخ الطبري - ٧/ ٣٠) .

الأمين في هذه الوصية يدعو قائده إلى التحلي بنفس الخلق الذي دعا إليه في الوصية السابقة ، فيأمره بالابتعاد عن البغي والفساد وفي قوله (ولا تقدم رجلا إلا بعد استخارة ، ولا تشهر سيفا إلا بعد اعذار ، وما قدرت عليه باللين فلا تتعده إلى خرق وشره) يريده أن يتحلى بالتأني والروية ، وعدم الاندفاع والبطش في هذه المعركة ، لأنه يعلم أن الجيش الذي سيقابله هو جيش أخيه ، والأرض التي تدور عليها رحى هذه المعركة هي أرضه .

ويجدر بنا قبل الاسترسال في الحديث عن هذا الجانب الخلقي في شخصية الأمين ، والذي لاح لنا في هذه الوصايا . أن نقف قليلا عند الجوانب الأخرى في شخصيته التي تناقلتها ألسنة الرواة والمؤرخين والتي اجمعت على وصفه بالعبث والمجون والاسراف ، ومنادمة الفساق ومعاقرة الخمرة والاقبال على الملاهي وذلك كقول السيوطي فيه : (كان ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة معروفة . . . كان سيء التدبير كثير التبذير ضعيف الرأي لا يصلح للإمارة)(تاريخ الخلفاء / ١٩٧) . وقد وصفه والده الرشيد قائلا عندما ولاه العهد وقدمه على المأمون قائلا (والله إني لا تغرف في عبدالله يعني المأمون حزم المنصور ، ونسك المهدي ، وعزة نفس الهادي ، فلو شاء أن أنسبه للرابعة لنسبته إني لأرضى سيرته وأحمد طريقته واستحسن إسمه ، وأرى قوته وذهنه وامن ضعفه ووهنه وإني لاقدم محمد عليه ، واعلم أنه منقاد لهواه متطرف طريقه مبذر لما حوته يداه مشارك للنساء والإماء في رأيه ولولا أم جعفر وميل بني هاشم إليه لقدمت عبدالله عليه) خلاصة الذهب المسبوك / ٨٧) .

ووصفه ابن تغري بردى بما وصفه السيوطي وأضاف عليه في قوله : (وكان مدمنا للخمرة ، منادما للفساق والمغاني والمساخر اشترى عريب بمائة ألف دينار ،

واحتجب عن اخوانه واهل بيته وقسم الأموال والجواهر في النساء ، ومحبته لخادمه كوثر مشهورة) . (النجوم الزاهرة ٢ / ١٦٠) .

وقد تكون بعض هذه الروايات صحيحة وثابتة ... ويكون البعض الآخر جانبا الصحة ، إذ ان للفتنة التي نشبت بين الأخوين وأدت إلى حرب طاحنة بينهما الدور الكبير في ابراز هذه الجوانب في شخصيته ، وعلينا أن لا ننسى للدعاية المأمونية بعد أن اصبح النصر للمأمون على أخيه الأمين وتوليه الخلافة ، إذ ان لهذه الدعاية الدور الخطير في المبالغة في سرد هذه الروايات وتهويلها وذلك كقولهم : (إنه لما كان في الحصار خرج كوثر ليرى الحرب فاصابته رجمة في وجهه فجلس يبكي ، وجعل الأمين هذا يمسح الدم من وجهه ثم انشد : ـ

ضربوا قرة عيني ومن أجلي ضربوه
أخذ الله لقلبي من أناس احرقوه

وكذلك قولهم : (فأرسل المأمون سنة طاهر بن الحسين في أقل من أربعة آلاف فكانت الغلبة له وذبح علي بن عيسى ، وهزم جيشه وحمل رأسه إلى المأمون فطيف بها في خراسان وسلم على المأمون بالخلافة وجاء الخبر الأمين وهو يتصيد السمك فقال للذي اخبره : ويلك دعني فان كوثر صاد سمكتين وأنا ما صدت شيئا بعد) (اخبار الخلفاء / ١٩٨)

لا يمكن التصديق بما جاء في هاتين الروايتين ، اللتين جعلتاه من البلاهة والغفلة ، وصوت الأمور إلى درجة لا يعي معها جسامة الحدث وخطورته ، ووصول الأمر إلى منتهاه . فلابد من التشكيك بما جاء فيهما ... وكما اجمعت بعض هذه الروايات على وصفه بالتبذير ... وبسوء التدبير والاسراف ، كما اجمعت على وصفه بالفصاحة والبلاغة ، والأدب والحكمة (النجوم الزاهرة ٢ / ١٦٠ اخبار الخلفاء / ١٩٧) . وقد تحدث اسحق الموصلي

عنه فقال : (اجتمعت في الأمين خصائل لم تكن في غيره ، كـان احسن الناس وجها وأسخاهم . وأشرف الخلفاء أبا وأما . حسن الأدب عالما بـالشعر ، لكن غلب عليه الهوى) (تاريخ الخلفاء / ٢٠٢) وقال أبو الحسن الأحمر : (كنت ربما أنسيت البيت الذي يستشهد به في النحو ، فينشدنيه الأمين ، وما رأيت في أولاد الملوك اذكى منه ومن المأمون) (تاريخالخلفاء / ٢٠٢) .

ومن الوصايا الجديرة بالعرض في هذا البحث وصية (زبيدة) ام الأمين إلى قائد ابنها علي بن عيسى بن ماهان[٢١] ، إنها أول وصية صدرت من امرأة لقائد جيش بهذه الوصية جاءت في عصـر أصبح للمـرأة فيه دور ومكـانة في الخـلافة العباسية ، حتى أصبح بعضهن يأمر وينهى ، وينصّب ويعزل ، وقد اوردت كتب التاريخ والأدب الكثير من الروايات التي تحدثت عن دور المرأة الخطير في الحيـاة السياسية ، وقد يكون دورها أكثر خطورة عندما تكون ام الخليفة أو زوجه ، وتكون من اصول غير عربية ، فتستطيع تقريب من تشاء من ابناء جنسها بـأمر منهـا ، خصوصا عندما تكون ذات مكانة وقوة ، كام الهادي وهي ام ولد بربرية اسمها الخيزران (كانت حاكمة مستبدة بالأمور الكبار ، والمواكب تغدو على بابها ، حتى ضجر ابنها من ذلك فقال لها : لئن وقف ببابك أمير لأضربن عنقه : أمالك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك ؟) (تاريخ الخلفاء / ١٨٦) .

وكذلك حال النساء العربيات ، فها هي زبيدة ـ السابق ذكرها ـ (كانت من اعظم نساء عصرها دينا واصلا ، وجمالا وصيانة ومعروفا ، وأحصى ما انفقته في حجة واحدة ، فكان ألفي ألف دينار ، وكان في قصرها جارية تقرأ القرآن ، فكان يسمع من قصرها دوي كدوي النحل من القراءة ، ويقال أن زبيدة بقيت عـلى مكانتها في قصرها وحشمها بعد الرشيد في أيام ولدها الأمين ، وفي أيام ابن زوجها المأمون) (النجوم الزاهرة ٢/٢١٤) .

أما وصيتها لقائد ابنها علي بن عيسى لما أرسله الأمين لقتال جيش المأمون

فهي قولها : (يا علي ، إن أمير المؤمنين ، وإن كان ولدي ، إليه تناهت شفقتي ، وعليه تكامل حذري ، فإني على عبدالله منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى ، وإنما ابني ملك نافس اخاه في سلطانه وغاراه على مافي يده ، والكريم يؤكل لحمه ، ويميته غيره ، فاعرف لعبد الله حق والده واخوته ، ولا تجبهه بالكلام ، فانك لست نظيره ، ولا تقتسره اقتسار العبيد ، ولا ترهنه بقيد ولاغل ، ولا تمنع منه جارية ولا خادما ، ولا تعنف عليه في السير ، ولا تساوره في المسير ، ولا تركب قبله ، ولا تستقل على دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شتمك فاحتمل منه ، وإن سفه عليك فلا تراده) .

ثم دفعت إليه قيدا من فضة، وقال: إن صار في يد لك فقيّده بهذا القيد، فقال لها : سأقبل أمرك ، وأعمل في ذلك بطاعتك .) (تاريخ الطبري ٠٧ : ١٦ ، والفخري ص ١٩٥ ، الكامل لابن الاثير٦/٢٤٠) .

نلمح في وصية زبيدة روح الشفقة والرحمة لابن زوجها (المأمون) وروح الثقة بأن النصر سيكون حليف ابنها الأمين . فكان هذا التصور قبل أن تظهر بوادر الضعف والوهن في صفوف جيش الأمين ، وعلائم القوة والانتصار في صفوف جيش المأمون . فقد تكون هذه الوصية في الأيام الأولى من اشتعال نار الفتنة بينهما .

وزبيدة تعلم أن هذه الفتنة هي بين أخ وأخيه وهي لا تريد لنار هذه المعركة أن تحرق أيا منهما ، أو تكون السبب في دمار هذه المملكة التي بناها السلف من العباسيين حتى وصلت إلى ماهي عليه من الرقي والتطور في تلك الفترة .

أما في قولها له : (لا تجبه في الكلام) حتى آخر هذه الفقرة من الوصية فهي تضع نصب عينيه الآداب الخاصة في معاملة أبناء الملوك في حالة الحرب أوعند الأسر .

وتؤكد زبيدة في وصيتها للقائد الالتزام بحسن المعاملة للمأمون في حالة أسره بأن اعطته قيداً من فضة وقالت له : (إن صار في يدك فقيّده بهذا القيد) .

فنستدل بعد ذلك بأن صاحبة هذه الوصية ذات عقل راجح وحسن تدبير ، وأنها كانت صادقة الشعور تجاه ابن زوجها ، ولعل الخبر الذي أورده ابن تغري بردي في كتابه (النجوم الزاهرة ٢/٢١٤) في استقبالها للمأمون بعد قتل ابنها الأمين يدل دلالة واضحة على سماحتها وحلمها اذ قيل (إن المأمون دخل إليها بعد قتل ابنها الأمين يعتذر إليها ويعزيها فيه ، ويسكن ما بها من حزن ، فقال لها : يا ستاه لا تأسفي عليه ، فاني عوضه لك ، فقالت : يا أمير المؤمنين كيف لا آسف على ولد خلف أخا مثلك ثم بكت وأبكت المأمون حتى غشى عليه) .

الخلاصـــة

وبعد البحث تبين لنا أن الوصايا كغيرها من الفنون النثرية الاخرى خضعت لموجة التغير والتطور التي اصابت العصر . وظهرت فيها انواع جديدة لم تكن شائعة بين العرب .

فوصايا الآباء للابناء مثلا نجد بعضها قد صدر بلغة وصايا الآباء نفسها في الجاهلية وفي الاسلام وبمعانيها وموضوعاتها ، ولكن طائفة منها قد اختلفت في موضوعاتها كوصايا الخلفاء الى الابناء (ولاة العهد) فهي ترسم مناهج واساليب جديدة في السياسة والحكم ولعل من ابرز الوصايا في هذا الجانب هي وصايا المنصور لابنه المهدي ثم وصية - طاهر بن الحسين - قائد المأمون لابنه عبد الله التي تعد من الوثائق التاريخية المهمة لما لها من قيمة علمية وادبية واجتماعية وسياسية .

أما وصايا الوزراء والكتاب فالجديد فيها أنها وجهت لاصحاب هذا المنصب الجديد في البلاط العباسي وان كانت الصلة بين وصايا الكتاب ووصايا الوزراء وثيقة ، وذلك لأهمية فن « الكتابة » وضرورتها لمنصب الوزير . غير ان التركيز في وصايا الكتاب على الجوانب اللغوية والاسلوبية للكتابة اكثر منه على الجوانب السلوكية والتنظيمية التي عنيت بها وصايا الوزراء .

وتعد الوصايا في الصداقة والصديق من الأنواع الوافده على هذا الفن ، وهي تتحدث عن جانب من الجوانب الخلقية التي تحدد علاقة الانسان بمجتمعه وبافراد هذا المجتمع . فلم تكن شائعة في العصور السابقة .

وأما وصايا الوعاظ والأدباء للخلفاء فالجديد فيها وصايا الادباء للخلفاء ،

وذلك كوصايا ابن المقفع في رسالة الصحابة وكان الاهتمام قبل هذه الوصايا بالأمور الدنيوية وان جاء الاهتمام ببعض الامور الدينية فهو لتفخيمها واضفاء روح الرهبة فيها ولجعلها اكثر تأثيرا في شعور الموصى له .

وأما وصايا المؤدبين والمعلمين فقد جاء قسم منها على غرار وصايا الامويين لمؤدبي ابنائهم الا ان كثيرا منها في العصر العباسي استطاعت ان تنقل لنا المناهج التعليمية والتربوية التي شاعت في هذا العصر وتسجل أيضا المشاهد البارزة للتحول الذي وصلت اليه الحضارة العربية والاسلامية في العصر العباسي الاول . اما الوصايا التي صدرت من الادباء والمفكرين الى المؤدبين والمعلمين كافة ، فهي التي استجدت وظهرت في هذا العصر وقد سجلت لنا صفحة مهمة عن الجوانب التعليمية والسلوكية العامة آنذاك .

وأما الوصايا الحربية وهي ما قاله الخلفاء الى القواد فانها لا تختلف كثيرا عن وصايا المسلمين الاوائل الى قوادهم من حيث الدعوة الى التحلي ببعض القيم والمبادىء التي دعت إليها آداب الحروب الإسلامية ، وان اختلفت قليلاً عن الوصايا السابقة في نواحي تنظيم الجيوش وفي تفضيل أنواع الأسلحة المستخدمة في ذلك العصر .

وان هذا التطور والتغير الذي طرأ على الوصايا كاحد الفنون الادبية لم يكن وقفا على الموضوعات فحسب ، بل ظهر في الالفاظ والاساليب والمعاني .

من حيث الألفاظ نرى أن لغة الوصايا في هذا العصر زادت رقة وعذوبة شأنها شأن الفنون الأدبية الأخرى ، والسبب في ذلك أن الحضارة قد تمكنت من النفس العربية ، وتغلغلت في ثناياها ، فألانتها وهذبتها ، ولم يعد للغة الصحراء الحوشية أثر بارز في نفوس أصحابها إلا عند من أبقوا على سكناهم في الصحراء .

فمالت لغة الوصايا الى وضوح العبارة وسهولتها ، وملاءمتها للمعنى وظهر

هذا الجانب واضحا في وصايا القواد ، التي كانت تصدر كأوامر للقواد وفي وصايا ابن المقفع التي جاءت في رسالة الصحابة ، وفي وصاياهم في الصداقة والاخوان ، وكذلك الحال في وصايا المؤدبين والمعلمين فقد صدرت بلغة بسيطة واضحة بعيدة عن التكلف ، او الاستغراق في استخدام البديع ، والسبب ان هذه الوصايا صدرت بتوجيهات أريد بها وضع الأسس والأساليب السليمة في تنشئة الأبناء وتعليمهم ، وقد صدرت من الآباء للمؤدبين أو صدرت ـ في بعض الاحيان ـ من بعض الادباء ، أو الكتاب البارزين للمعلمين أو المؤدبين ، فهذه الوصايا ليست بحاجة الى اعداد وتكلف في الصياغة وفي الاساليب بقدر الحاجة الى رسم انجح السبل والمناهج للتأديب والتعليم .

وان كان هناك شيء من الاعداد الفني والعناية اللغوية في الانواع الاخرى من الوصايا ، فهو لا يتعدى استخداما للمزدوج الذي بدأ عند كتاب الفترة المتأخرة من العصر الأموي كعبد الحميد الكاتب وشاع بين كتاب هذا العصر . وكثر ايضا الكلام ذو الفقرات القصيرة المختومة بكلمات ذات رنين خاص ، ليكون له صدى وتأثير في النفس . وقد نلحظ هذا الاسلوب في وصايا الآباء للابناء وفي وصايا الحكماء والوعاظ لخلفاء والحكام ، فقد يعمد اصحاب هذا النوع من الوصايا الى تكرار المعنى بعبارات مختلفة الالفاظ والاساليب ، كأن تأتي بصيغة استفهام ، أو صيغة نفي ، أو تقرير . والغاية من ذلك تثبيت المعنى وتأكيده في نفوس سامعيهم .

وقد أرجعت التطور والتغير الذي طرأ على الوصايا في انواعها المختلفة في هذا العصر الى عاملين رئيسيين :-

العامل الأول : هو العامل الأصيل أو النواة لهذه الثقافة ، وهو من موروث العرب القديم ، ومن تراثهم الجاهلي المتمثل في الشعر القديم ، وفي الخطب والوصايا والأمثال والسير والأيام . مضافا اليه التراث الاسلامي ، وذلك بما عمله القرآن الكريم في عقول العرب من تطور وتغير في الفكر والعقيدة مضافا اليها

العلوم التي احدثها القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فلابد أن يقتبس العرب من ألفاظه ومعانيه ، والاستعانه بعباراته المتينه ، وتراكيبه القوية ، وبلاغته ، وبيانه الساحر ، واستعاراته الحكيمة ، وتشبيهاته المتميزة .

العامل الثاني : هو اتصال الثقافة العربية بثقافات الأمم الأخرى ، ونقل الكثير مما عندها من علوم وآداب وفنون الى العربية ، وهي أمم كما نعلم لها دور كبير في الحضارة والمدنية ، وذلك كالفرس والهنود والروم واليونان والكلدان . فتكونت بعد هذا الاتصال ثقافة جديدة متميزة لا هي بالثقافة العربية الاصلية ، ولا هي بالثقافة الاجنبية الدخيلة ، فكانت هذه الثقافة الاسلامية التي سمحت لكل علوم الامم الاخرى ، وآداب وفنون بعض الامم بالانصهار في بوتقتها ، فكان نتاج هذا سبكا جديدا رائعا عكس نورا واشعاعا جديدا لهذه الامم .

الهوامش

(١) حوب : الاثم

(٢) تبور : تهلك .

(٣) المثلات : جمع مثلة ، وهي العقوبة .

(٤) أشحن الثغور : أي املأها بالمدافعة .

(٥) الواسطة : المتوسطة .

(٦) الكراع : اسم يجمع الخيل .

(٧) اسحق بن ابراهيم الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين ، وكان نائب المأمون على بغداد (النجوم الزاهرة ٢/٢١٩) .

(٨) احمد بن ابي دواد يكنى ابا عبد الله القاضي ، كان معروفا بالمروءة والفضيلة ، وله مع المعتصم اخبار طوال ، أصيب بالفالج في اول خلافة الواثق وتوفي سنة ٢٤٠ هـ وكان من رجال المعتزلة (وفيات الاعيان لابن خلكان ١/٦٣ - ٦٤) .

(٩) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميم الاسيدي المروزي . ابو محمد . قاض رفيع القدر ، يتصل نسبة باكثم صيفي حكيم العرب ، اتصل بالمأمون فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢ هـ ثم قضاء بغداد (الاعلام الزركلي ٩/١٦٦) .

(١٠) الضدع : الضعيف ، والغمر : من لم يجرب الأمور ، والجاهل الابله .

(١١) احمد بن سهل البلخي (ابو زيد) عالم سلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة ، كان معلما للصبيان ، ثم رفعه العلم الى مرتبة عالية وتوفي سنة ٣٢٢ عن ٨٧ أو ٨٨ سنة . من مؤلفاته : صور الاقاليم ، بيان وجوه الحكمه في الاوامر والنواهي الشرعية ، الكنى والالقاب كتاب السياسة الكبير والصغير والعلم والتعليم . (معجم المؤلفين ١/٢٤٠ ، معجم الادباء ٣/٦٤ - ٨٧) .

(١٢) بشر بن المعتمر انتهت اليه رئاسة المعتزله في بغداد وله آراء خاصة في الاعتزال ، وله جماعة سموا (بالبشرية) وله آراء بلاغية جمعها في صحيفته المشهورة التي نقلها الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) . توفي سنة ٢١٠ هـ (البيان والتبيين) .

(١٣) ابراهيم بن المدبر : ابو اسحق ، شاعر كاتب متقدم ، من وجوه كتاب اهل العراق ومتقدميهم وذوي المتصرفين في كبار الاعمال ومذكور الولايات ، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله (اغاني ٢٢/١٥١) .

(١٤) اللهازم : جمع لهزمة ، واللهزمتان : ناتئتان تحت الاذنين من اعلى اللحيين والخدين .
(١٥) تستماح : استماحة : سأله العطاء .
(١٦) الطلاوة : الحس والبهجة .
(١٧) الريض : الذي ابتديء في رياضته . القضيب : الذي لم يمهر في الرياضة . وأصل هذين الوصفين للحيوان الذي يراض كالناقة والفرس .
(١٨) الجزرة : الحزمة .
(١٩) عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، اميرمن بني العباس ، ولاه الهادي امره الموصل سنة ١٦٩ هـ وعزله الرشيد سنة ١٧١ هـ ثم ولاه المدنية والطوائف وولاه مصر مدة قصيرة فلم يذهب اليها ، وولاه دمشق فاقام فيها اقل من سنة ، وبلغه انه يطلب الخلافة فحبسه ببغداد سنة ١٧٨ هـ ولما مات الرشيد اطلقه الامين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣ هـ وتوفى سنة ١٩٦ هـ (الاعلام للزركلي ٤/٣٠٤ ـ ٣٠٥ النجوم الزاهرة ٢/٩٠, ١٥٠) .
(٢٠) اهم الدراسات التي مالت الى هذا الرأي كتاب (طبيعة الدعوة العباسية) وكتاب (العباسيون الاوائل) هما للدكتور فاروق عمر .
(٢١) علي : علي بن ماهان قائد الامين .

قائمة المصادر والمراجع

ـ الأحكام السلطانية : (الماوردي) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (الماوردي) ت ٤٥٠ ـ دار الكتب العلمية ـ لبنان سنة ١٩٧٨م .

ـ آداب المتعلمين : تذكرة السامع والمتعلم في آداب العالم والمتعلم (لابن جماعة) .

ـ أدب الدنيا والدين : (الماوردي) لابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت ٤٥٠) القاهرة ـ البابي الحلبي ـ سنة ١٩٥٥م .

ـ الادب الكبير والادب الصغير : (لابن المقفع) عبدالله ـ دار الجيل ـ بيروت .

ـ ادب المعتزلة : (بلبع) عبد الحكيم ـ دار النهضة مصر ١٩٦٩م .

ـ ادب الوزير : (الماوردي) ابو الحسن علي بن محمد ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٩٢٩م .

ـ الاعلام : (الزركلي) خير الدين الزركلي الطبعة الثانية ١٩٥٤م .

ـ الأغاني : (الاصفهاني) أبو الفرج ـ دار الثقافة ـ بيروت سنة ١٩٥٥ م .

ـ امالي المرتضي) (المرتضي) علي بن الحسين الموسوي ت ٤٤٦ هـ .

ـ الامامة والسياسة : (لابن قتيبة) عبد بن مسلم ـ تحقيق طه محمد الزيني ـ القاهرة ـ مؤسسة الحلبي .

ـ البيان والتبيين : (الجاحظ) عمرو بن عثمان ت ٢٥٥ هـ ـ مكتبة الخانجي القاهرة ـ الطبعة الرابعة ـ سنة ١٩٧٥م .

ـ تاريخ الرسل والملوك : (الطبري) لابي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ دار المعارف القاهرة ـ ذخائر العرب .

ـ تحفة الوزراء : المنسوب الى (الثعالبي) مطبعة العاني بغداد سنة ١٩٧٧م .

ـ التربية والثقافة العربية الاسلامية : د. ملكة ابيض ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٠م .

ـ الحياة الادبية في البصرة : (كمال زكي) أحمد ـ دار المعارف بمصر ١٩٧١م .

ـ خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك : عبد الرحمن سنبط قنيتو الأربلي ـ مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس سنة ١٨٨٥م .

ـ ديوان بشار : تحقيق الطاهر بن عاشور ـ القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠م .

ـ رسائل البلغاء : محمد كرد علي ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة .

ـ رسائل الجاحظ : مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ سنة ١٩٧٩م .
ـ زهر الاداب : (القيرواني) لابي اسحق ابراهيم بن علي الحصري (القيرواني) دار الجبل بيروت ـ سنة ١٩٧٢م .
ـ السياسة والاقتصاد : (شلبي) أحمد ـ طبعة ثانية ـ القاهرة ـ سنة ١٩٦٧م .
ـ في التفكير الاسلامي
ـ شذرات الذهب : (ابن العماد الحنبلي) عبد الحي بن عماد ـ ت ١٠٨٩ هـ ـ بيروت سنة ١٩٥٤م .
ـ شرح نهج البلاغة : (لابن ابي الحديد) ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ دار الفكر
ـ صبح الاعشى : (القلقشندي) احمد بن علي ت ٨٢١ هـ ـ القاهرة سنة ١٩٦٣م .
ـ ضحى الاسلام : (امين) احمد ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٤م .
ـ طبيعة الدعوة العباسية : فاروق عمر ـ بيروت ـ دار الارشاد ـ ١٩٧٠م .
ـ العباسيون الاوائل : فاروق عمر ـ دار الارشاد ـ بيروت ١٩٧٠م .
ـ عصر المأمون : (الرفاعي) احمد فريد ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٢٧م .
ـ العصر العباسي الاول : شوقي ضيف ـ دار المعارف ـ مصر الطبعة الثالثة .
ـ عهد اردشير : حققه وقدم له احسان عباس ـ دار صادر بيروت ١٩٦٧م .
ـ عيون الاخبار : (لابن قتيبه) ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٩٢٥م .
ـ العيون والحدائق في اخبار الحقائق (ومعه كتاب تجارب الامم) : لابن مكسويه تحقيق دي غويه ـ ليدن ـ سنة ١٨٧١م .
ـ الفاضل في صفة الادب الكامل : (الوشاء) محمد بن احمد بن اسحق النحوي المعروف بالوشاء منشورات وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية ـ احياء التراث ـ دار الحرية للطباعة والنشر سنة ١٩٧٧م .
ـ الفخري في الاداب السلطانية : (ابن الطقطقي) محمد بن علي بن طباطبا ت ٧٠٩ هـ ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٦م .
ـ الفرج بعد الشدة : (التنوخي) ابن علي الحسن بن علي التنوخي ت ٣٨٤هـ ـ تحقيق عبود الشالجي ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٧٨م .
ـ الفهرست لابن النديم : (محمد بن اسحق) ت ٣٧٨ هـ ـ القاهرة ـ مطبعة الاستقلال .
ـ في التاريخ العباسي : د. شاكر مصطفى ـ دمشق ١٩٥٧م .
ـ قصص العرب : محمد احمد جاد المولى ـ علي محمد البجاوي ـ محمد ابو الفضل ابراهيم جـ١ ـ القاهرة ـ عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٧١م .
ـ كتاب بغداد : (ابن طيفور) ابي الفضل احمد بن طاهر الكاتب المعروف (بابن طيفور) ت

٢٨٠ هـ الاصل مأخوذ عن مصور شمسي للنسخة الخطية في المتحف البريطاني سنة ١٣٦٨ هـ .
ـ محاضرات الادباء : (للراغب الاصفهاني) دار الحياة ـ بيروت ١٩٦١م .
ـ مروج الذهب : (المسعودي) ابو الحسن بن الحسين ـ تحقيق محي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية ـ القاهرة ـ المكتبة التجارية الكبرى ١٩٦٤م .
ـ المستطرف من كل فن مستظرف : (الابشيهي) محمد بن احمد ت ٨٥٠ هـ القاهرة ١٩٥٢م .
ـ معجم الأدباء : (ياقوت الحموي) أبو عبدالله وتحقيق أحمد فريد الرفاعي القاهرة ـ مطبوعات دار المأمون ١٩٣٦م ـ طبعة البابي الحلبي .
ـ معجم المؤلفين : (كحالة) عمر رضا ـ مكتبة المثنى ـ بيروت ـ دار احياء التراث بيروت .
ـ مقدمة ابن خلدون : المجلد الاول ـ دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٩م .
ـ الملل والنحل : (الشهر ستاني) محمد بن عبد عبد الكريم بن أبي بكرت ٦٢٠هـ ـ بيروت ١٩٥٧م .
ـ المنصور : (الجومرد) عبد الوهاب ـ بيروت ١٩٥٥م .
ـ النجوم الزاهرة : (لابن تغري بردى) جمال ابي المحاسن يوسف بن تغري بردى (الاتابكي) ت ٨٧٤ هـ ـ نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ١٩٦٣م .
ـ نهاية الارب : (النويري) احمد بن عبد الوهاب ـ القاهرة دار الكتب المصرية ١٩٣٦م .
ـ الوزراء والكتاب : (الجهشيهاري) ابي عبد ار محمد بن عبدوس ـ حققه مصطفى السقا ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة الحلبي ـ القاهرة ١٩٣٨م .
ـ الوصايا الخالدة : عبد البديع صقر ومصطفى جبر ـ القاهرة ـ مكتبة وهبة ـ ١٩٧٧م .
ـ وفيات الاعيات : (لابن خلكان) شمس الدين احمد بن محمد ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ سنة ١٩٤٨م . (وطبعة دار الثقافة ـ بيروت ـ تحقيق الدكتور احسان عباس) .

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الاول في يناير ١٩٧٥

تصل اعدادها الى ايدي نحو ٢٠،٠٠٠ قارىء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : —

— مجموعة من البحوث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة باقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون ·

— عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة ·

— ابواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — بيبليوجرافيا ·

— ملخصات للبحوث باللغة الانجليزية ·

منشورات المجلة

اضطلعت المجلة باصدار عدد من سلاسل الكتب هي : —

اولا : سلسلة المنشورات ، وقد صدر منها حتى الان احد عشر منشورا من احدثها :

— منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ١٩٦٨ — ١٩٧٧ : دراسة مقارنة في التنظيم الدولي د· عادل خاكي ·

— قواعد الملاحة عند ابن ماجد والقطامي · حسن صالح شهاب ·

ثانيا : سلسلة الاصدارات الخاصة ، وصدر منها حتى الان ثلاثة عشر كتابا ، من احدثها :

— المفهوم الحديث للتسويق وتخطيط الخدمات المصرفية في البنوك التجارية الكويتية · د· عبد الفتاح الشربيني ، د· السيد ناجي

— رسالة في تاريخ اليمن : مطالع النيران · د· محمد عيسى صالحية ·

ثالثا : سلسلة كتب الوثائق ، وقد صدر منها كتب الوثائق للاعوام : ٧٥ — ٧٦ — ٧٧ — ٧٨ — ٧٩ — ٨٠ ·

الاشتراكات

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي او ما يعادلها في الخارج ·

الاشتراك للافراد : سنويا ديناران كويتيان او ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية : سنويا ١٢ دينارا كويتيا او ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) ·

العنوان : جامعة الكويت — كلية الآداب — الشويخ — دولة الكويت

ص·ب : ١٧٠٧٣ — الخالدية

الهاتف : ٨١٦٨٠٧ — ٨١٦٧٩٩ — ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

المجلة التربوية

تصدر عن كلية التربية - جامعة الكويت

فصلية ، تخصصية ، محكّمة

تنشر البحوث التربوية ، ومراجعات الكتب التربوية الحديثة

ومحاضر الحوار التربوي ، والتقارير عن المؤتمرات التربوية

★ تقبل البحوث باللغتين العربية والانجليزية .

★ تنشر لأساتذة التربية والمختصين فيها من مختلف الاقطار .

★ تطلب قواعد النشر من رئيس التحرير .

★ تقدم مكافأة رمزية للناشرين بها .

الاشتراكات :

للأفراد في الكويت	: ٢ د.ك	وللطلاب	١ د.ك
للأفراد في الوطن العربي	: ٢٫٥ د.ك	وللطلاب	١٫٥ د.ك
للأفراد في الدول الأخرى	: ١٥ دولارا أمريكيا بالبريد الجوي		
للهيئات والمؤسسات	: ١٢ د.ك وفي الخارج ٤٥ دولارا أمريكيا		

توجه جميع المراسلات إلى :

رئيس التحرير - المجلة التربوية - ص.ب ١٣٢٨١ كيفان - الكويت

THE COMMANDMENTS AND THE EXTENT OF THEIR DEVELOPMENT DURING THE ABBASID PERIOD

SUMMARY

"Commandments" is one of the arts of narrative in classical Arabic literature. Specialists in modern studies paid inadequate attention to this art, as we don't find the studies it deserves to place such art in its appropriate position among other narrative arts such as the debate, the letter, the story and the like. In addition, the narrative art reflects the writer's perception and philosophy on life and people. Also, the narrative art deals with social and political aspects which the historian may utilize as documentaries in politics and sociology, regardless of the artistic aspect.

This study was preceded by two papers which also dealt with the topic of commandments. **The first** paper discussed the commandments in the pre-Islamic era **the second** paper dealt with the commandments in the early Islamic era and the Umayyad period. This study on "Commandments and scope of Development in the Abbasiad First Era" has therefore complemented the two previous papers and monitored the features of development and reformity in this art.

This study addressed itself to all types of commandments in the —— era with continuous focus on all aspects of development and reformity, on each type of commandments; which may appear in the context of linguistics, style, meanings or topics.

The study involved new types of commandments which the early scholars did not deal with in the previous periods as independent commandments; instead they treated them as a whole such as the commandments on friendship and friend.

This study has recognized certain aspects which did not only deal with the development of this art, it dealt also with some professions which have become subject to standard procedures and patterns which makes it mandatory to the professional to observe its methodology. The commandments to tutors and instructors were not addressed to any particular tutor or instructor. Instead it has been imparted by some experienced intellectuals or tutors in the profession to the, tutors and instructors in general.

THE AUTHOR

Dr. Seham Al-Fraih

★ Ph.D. in Ancient Arabic Literature, Cairo University, 1980.

★ Teacher of Abbassy Literature - Department of Arabic Language and Literature, Kuwait University.

PUBLICATIONS:

BOOKS

1. Diwan Ibn Qalaquis (Study and Verification).
2. Mainds and Poetry in the first Abbassy Era.

RESEARCH

1. Al-Tha'alabi and his book Yatimat Al-Dahr (Orphan of the century), Al-Bayans 1982.
2. Commandments Literature in Pre-Islamic Era, Al-Bayan 1983.
3. Commandments Literature during Islamic Era, Al-Mawred-Baghdad 1984.
4. Roses, Flowers and Basils (Rayaheen) in Pre-Islamic Poetry, Al-Bayan, Kuwait 1985.

THIRTY-SECOND MONOGRAPH

THE COMMANDMENTS AND THE EXTENT OF THEIR DEVELOPMENT DURING THE ABBASID PERIOD

Dr. Seham Al-Fraih
Department of Arabic Language and Literature - Kuwait University

Annals Of The Faculty Of Arts
Volume VI, 1985